

(١٣١٦)

الفضولي

مسائل فقهية وطرائف أدبية
في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"في نهاية حياته، عرض غوته فكرة الأدب العالمي في أحاديثه مع إكرمان (١٨٢٧/١/٣١). غالبا ما أعيد أخذ الكلمة، دون أن تترجم. ونحن نستشهد بها في سياقها. تأمل غوته في الشعر الذي أصبح شيئا فشيئا "(تراثا عاما للإنسانية). واستطرد قائلا : " ولكن إذا لم نرن نحن الألمان، بأبصارنا إلى ما وراء محيطنا الحالي، فإننا سنقع بسهولة ضمن الزهو المتعجرف، أحب أيضا، أن استخبر عن الأمم الأجنبية وأنصح كل شخص أن يفعل مثل ذلك، من جهته. إن كلمة أدب قومي لا تعني شيئا كبيرا اليوم، إننا نسير نحو عصر الأدب العالمي، ويجب على كل شخص أن يسهم في تسريع قدوم هذا العصر. ولكن مع تقدير كل ما يأتينا من الخارج، لايجب علينا أن نضع أنفسنا في مقطورته، ولا أن نأخذه نموذجا [....] عندما نكون بحاجة إلى نموذج، علينا دائما العودة إلى الإغريق القدماء، في الأعمال التي تقدم أجمل ما في الإنسان، لنتجاوز ہ ذا الحماس الروحي الذي يتطلع إلى أدب عالمي يعتبر النموذج الإغريقي النموذج الوحيد المناسب : حركة فضولية شبه متناقضة بين ديناميكية إعلان نبيل وثبات مرجع جمالي وأخلاقي. لنلاحظ أولا أن هذا المثال وضع بين معترضتين من خلال حركة فكرية ترتبط باللحظة الحاضرة والمشاكل الحالية للإبداع الشعري : ضرورة الانفتاح على الخارج، مع العودة الدائمة إلى النموذج القديم.." (١)

"أخذ الموضوع نفسه ضمن سياق آخر، ومن قارئ آخر، له اهتمامات أخرى، وهي اهتمامات نقدية خالصة، ووضع البحث ضمن إطار موضوعاتي واسطوري في الوقت نفسه، وطور هذا الموضوع تحليلات، وأدى إلى نتائج مختلفة جدا (١) .هناك توجه آخر : عند فحص رائعة الأدب البرتغالي الروائي في القرن التاسع عشر Os Maias (١٨٨٨) لإيساكيروز، يظهر أنطونيو كوامبرا مارتان(٢) كيف يخدم موضوع المحرم، وهو الموضوع المركزي لهذه اللوحة للمجتمع البرتغالي، في التعبير عن عبث مجتمع معين، وعقمه، وعجزه يجسده كالوس مايا الذي أحب أخته ماريا – إدواردا. حسنة ثالثة للدراسة الموضوعاتية مهمة للمقارنية وهي تسمح باكتشاف (أو إعادة اكتشاف) نصوص غير معروفة كثيرا، وأقل جذبا ، وتبعث **الفضولية** العقلية عن طريق فرض تعدد القراءات. يقوم الأدب العام والمقارن هنا بدوره كاملا كباعث على الانفتاح على الأجنبي. في هذا المستوى، تتوجه الدراسة الموضوعاتية نحو بحوث معرفية متداخلة : مثل التاريخ الاجتماعي، الديانات، والعلوم، والحقوق (إذا أراد الباحث فهم المدى الحقيقي لاتفاق، وممارسة إيصائية (متعلقة بالوصية)، وخطف، وزواج سري...).

– الموضوعاتية والتداخل المعرفي (مابين المعارف) :

---

(١) الأدب العام والمقارن، ص/٢٩

إذا كان الموضوع يعالج، بصورة لصيقة، موضوعات لايسيطر عليها الباحث جيدا، فإنه يستطيع دائما أن يتخلى عن البحث الذي يتجاوزه، أو أن يبذل جهدا، إذا كان الأمر يتعلق ببرنامج مفروض، من أجل إظهار أن لاشيء غريب مما هو إنساني، بحسب حكمة تيرنس، مع معرفة أنه سيعود إلى الأدب مع بعض المعلومات الإضافية عن موضوع معين، ولكن دون أضواء جديدة عن حقيقة النص الذي يجب فهمه ضمن أبعاده الشعرية. تتطلب خصوصية بعض الموضوعات جهودا خاصة.

---

(١) انظر مثلا كلود – جيلبير دوبوا، أسطورة المحرم : الانتهاكات العائلية وتحولات الأسطورية في عائلة هي رودوس، بوردو ٣، ١٩٨٦.

(٢) Ensaios querirosianos ، لشبوبة، ١٩٦٧." [1]

"وانطلاقا من بعض الصفحات المثيرة للفيلسوفة الإسبانية ماريا زامبرانو (الاعتراف: جنس أدبي)، يمكننا أن نقرأ، ليس في اعترافات سان أوغستان أو روسو، ولكن في (النفق) لإيرنيستو سيباتو، وفي Alescis لمارغريت يورسينار، ونجد بعض الاختلافات بين الاعتراف، والسيرة الذاتية، واليوميات أو المذكرات أو هذا الشكل المختفي الذي هو (دفتر المذكرات).

*- البلاغي والشعري:

في موازاة أشكال التأليف، يميز بيشوا-روسو، مثلما هو الحال في كتاب عام ١٩٨٣، (أشكال التعبير)، مشيرا مباشرة إلى أن (هذا المجال لا يستميل كثيرا البحث)، يبدو للوهلة الأولى خاصة أنه غير متجانس ومعقد: "يجب على هذا النوع من الدراسة، الذي يركز على جمل منعزلة، وأحيانا على أجزاء من جمل ونادرا على مقاطع، أن ينتقل من مجموعة من التفصيلات **الفضولية** إلى تركيب مقنع، من يسجل منهجه يقدم خدمة عظيمة".

ومن أجل إعطاء المثال يتابع المؤلفون: (لتوجيه البحث، سنحدد بإرادة طرق التعبير، في المعنى الذي تحدث فيه الإغريق عن الدوري (متعلق بالدوريين) أو الهوائي، إن الألعاب المتحركة للأسلوب، والنبرة، والكلمة، والعلاقات بين الكلمة، والفكر، والصمت تقرب أعمالا، وتظهر ظواهر معممة مثل سخرية،

---

(١) الأدب العام والمقارن، ص/١٦٢

ومحاكاة ساخرة، وهزل، وفي بعض العصور، هزأة macaronees، ونقديات (مجموعة من النصوص النقدية)، وmongense أو dada (عرف المقابل أقل من التبدلات: سمو، رصانة، فصاحة".)." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٧٥ """"""""

قال أحمد بن يزيد حدثني أب عن عمه حبيب بن المهلب قال : ما رأيت رجلا قط مستلئما في حرب إلا كان عندي رجلين ، وما رأيت رجلين حاسرين في حرب قط إلا كانا عندي بمنزلة رجل واحد . قال علي عليه السلام : الحرص مقدمة الكون . قيل لصوفي : لم لا تعمل عملا ؟ قال : إذا كان مستعملي قد أراحني فما وجه فضولي وتكلفي ؟ شاعر : الطويل إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه . . . شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا وصار على الأدنين كلا وأوشكت . . . صلات ذوي القربى له أن تنكرا فسر في بلاد الله وألتمس الغنى . . . تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا قيل لأعرابي : أيسرك أن تكون أحمق وأن لك مائة ألف درهم ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : لأن حمقة واحدة تأتي على مائة ألف درهم وأبقى بعدها أحمق . قيل لصوفي : على من تعول في معاشك ؟ قال : على لطف من." (٢)

"دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه، فقال: إن من حق الله تعالى عندك أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك، فإن من أوحش انقبض عن المسألة، وبكثرة المسألة مع النجح يدوم السرور. فقال له محمد: أما إني أعرفك فضوليا كثير الكلام. وأمر به إلى الحبس، فكتب إليه: قد علمت أن الحبس لم يكن من جرم تقدم إليك، ولكن أحببت أن تريني قدرتك علي، لأن كل جديد يستلذ، فلا بأس أن ترينا من عفوك مقدار ما أريتنا من قدرتك. فأمر بإطلاقه.

ثم لقيه بعد أيام فقال: يا أبا العيناء ما تزورنا حسب نيتنا فيك؟ فقال: أما نيتك فمتأكدة ولكن أرى أن الذي حدد الاستبطاء فراغ حبسك فأحببت أن تشغله بي.

فأبو العيناء اسمه محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سلمان، وأصلهم بني حنيفة من اليمامة، لحقهم سبي في أيام المنصور، فلما صار ياسر في يده أعتقه، فصار ولاؤه لبني هاشم، وكنيته أبو عبد الله، ومنشؤه البصرة، وأستاذه الأصمعي. وهو من أهل الأدب، له رسائل مشهورة مدونة يشار إليها. وعمر عمرا طويلا، وعمي في آخر عمره. وهو مطبوع جدا، ونوادره كثيرة مستحسنة قد أوردت في كل باب منها ما يليق به.

حضر رجل بباب عضد الدولة وسأله ترتيبه في معيشة، فتقدم بترتيبه صاحب خبر بالمأزمين. فأقام بالموضع

---

(١) الأدب العام والمقارن، ص/٢٤٦

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٤/١٧٥

مدة طويلة لم يكتب بشيء. فتقدم عضد الدولة بمكاتبته، وتوعده على تأخر مطالعته. فكتب: ما فيهما خبر يذكر، وقال: يطوى خبر المأزمين: من المتقارب:

أأذكر أخبار وحش الفلاة ... أم الجن فهي بها أكثر

كأن السماء على المأزمين ... رصاص وأرضهما مرمر

وكل مقيم بها مدبر ... وصاحب أخبارها أدبر

فرق له ووصله واستخدمه في غير ذلك العمل.

لما رجع أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد معزولا من خراسان مر بخيله من الأهواز وقد وسم عليها عدة، فحبست هناك. وكتب إلى الحجاج بخبرها، فقال: اكتبوا تحت عدة للفرار.

كتب رجل إلى الصاحب بن عباد رقعة قد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه، فوقع فيها: هذه بضاعتنا ردت إلينا.

قال أبو العيناء لصاعد: أنت خير من رسول الله قال: كيف؟ قال: إن الله سبحانه يقول: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. وأنت فظ ولسنا ننفض من حولك.

سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الملك ليستأديه مالا، فتلف في المطالبة، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء فقال له: ما عندك من خبر نجاح؟ قال: فوكزه موسى فقضى عليه. فبلغت كلمته موسى بن عبد الملك فلقيه فقال: أبي تولع؟ والله لأقومنك، فقال أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس.

كان سبب اتصال ابن قريعة القاضي بالوزير أبي محمد المهلبي أن ابن قريعة كان قيم رحى له، فرفع إليه حسابا فيه درهمان ودانقان وحبتان، فدعاه وأنكر عليه الإغراق في الحساب؛ فقال: أيها الوزير، صار لي طبعا فلست أستطيع له دفعا، فقال: أنا أزيله عنك صفعا .ثم استدناه بعد ذلك وقربه.

وقد روي في سبب اتصاله به غير ذلك، وذكر في باب السير. ولابن قريعة نوادر كثيرة حقيقية أدبية هزلية تجيء متفرقة في مواضعها.

سكر هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف فغلبه السكر، فنام في المضرب. فلما انصرف جاء راشد الحاجب فأنبهه وقال: يا هارون انصرف. فقال بسكره: هارون لا ينصرف. وأعاد راشد قوله، فقال له هارون: سل مولاك فإنه يعلم أن هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال: هارون لا ينصرف. فتركه راشد. فلما أصبح وقف على أن هارون بات في مضربه وقال: يا راشد أيبيت في مضربي رجل لا أعلم به؟ قال: أنت أمرتني بهذا، قلت: إن هارون لا ينصرف. فقال: إنا لله! أردت الإعراب

وظننت أنت غيره.

قال ابن الرومي: من البسيط:

حيا أبو حسن وهب أبا حسن ... بضرطة صيرت عثنونه خصلا

ثم استمرت فسارت في البلاد له ... كأنما أرسلت من دبره مثلا

وقال أيضا فيها: من السريع:

يا وهب ذا الضرطة لا تبتئس ... فإن للأستاه أنفاسا

واضرط لنا أخرى ولا تحتشم ... كأنما خرقت قرطاسا

وقال الحمدوني: من الخفيف:." (١)

"لأميرنا وأمير شرطتنا معا ... لكليهما يا قومنا رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فإن الرابع الشيطان

وأنشد الأعور: من الوافر:

ألم ترني وعمرا حين نغدو ... إلى الحانات ليس لنا نظير

أسايره على يمنى يديه ... وفيما بيننا رجل ضرير

دخل آخر إلى بعض الرؤساء فساره بشيء فتأذى ببخره. فلما فرغ من حديثه فسا وزاد البلاء على الرجل، فقال له: قم بالله فإنك عارم الطرفين.

قال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى نهرا فملأ الجرة ورجع. فقلت له: أنت أعمى والليل والنهار عليك سواء، فما معنى هذا السراج؟ قال: يا فضولي، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضيء به ولا يعثر بي في الظلمة فيقع علي ويكسر جرتي.

جلس كسرى للمظالم فتقدم إليه رجل قصير، فأقبل يصيح أنا مظلوم، وهو لا يلتفت إليه؛ فقال له الموبذان: أنصفه قال: إن القصير لا يظلمه أحد. فقال: الذي ظلمني أقصر مني، فضحك وأشكاه.

سار سعيد بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار وإنما يكاتب. وأنشد: من الخفيف:

كلمتني فقلت خرا وخير

ورأى فيلسوف قملة تدب على رأس أصلع فقال: هذا لص يروم القطع في خربة.

اتفق في ملك محمود بن ملكشاه توجيه القضاة الثلاثة، الهروي والشهرزوري والهيتي، رسلا إلى الأطراف،

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢١١/٣

وكانوا أعيان عصرهم إلا أنهم عور، فقال فيهم محمد بن الحسين الآمدي: من البسيط:

أرى العراق بمحمود على خطر ... ظمآن أنا رويت فيه السيوف روي

ولست أرجو له صلحا يهذبه ... بالشهوزوري والهيتي والهروي

عور وأخلق بملك رسله طير ... أن لا يروم وهذا قد بري ودوي

كتب بعضهم إلى محمد بن عبد الملك الزيات: نعمتني بوطء المطهمات حتى أصابني الفالج، وأتخمتني بأكل الطيبات حتى أصابني النقرس، ولولاك لكنت أبعد من النقرس من فيج، وأسلم من الفالج من مكار؛ وأين شرف أدوائي من جرب الحسن بن وهب ودود أحمد بن أبي خالد؟ وأين أدواء الملوك والأنبياء من أدواء السفلة والأغبياء؟ فمن كان داؤه أفضل من صحة غيره، وعيبه أحمد مما تراه ضده، فما ظنك بغير ذلك من أمره؟! أبو حكيمة: من الطويل:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... زمانة شيء لا يري قياما

رجل من بني عجل: من الطويل:

وشى بي واش عند ليلى سفاهة ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقل

وما بي من عيب الفتى غير أنني ... جعلت العصا رجلا أقيم بها رجلي

وخبر أني قد عرجت فلم تكن ... كورهاء تجري بالملامة للبعل

آخر: من الرجز:

ليس يضر الطرف توليع البلق ... إذا جرى في حلبة الخيل سبق

لما شاع في بلعاء بن قيس الوضح قيل له: ما هذا يا بلعاء؟ فقال: سيف الله جلاه.

نوادر البلغاء.

وصفوا غلاما عند بعضهم فقالوا: هو فاسد، قال: في فساده صلاحي.

وقال ابن وهب في مرد التحوا: من المنسرح.

ما بالكم يا ظباء وجرة أم ... ما غالكم يا جآذر البقر

ماتوا فلم يدفنوا فيحتسبوا ... ففيهم عبرة لمعتبر

كأنهم بعد بهجة درست ... ركب عليهم عمائم السفر

وقال ابن بسام في مثله: من البسيط:

يا من نعته إلى الإخوان لحيته ... أدبرت والناس إقبال وإدبار

حانت منيته واسود عارضه ... كما تسود بعد الميت الدار

وقال آخر: من الوافر:

وعلق لو تنسك يوم حج ... لواحر بين زمزم والحطيم

ولو يوم المعاد رأى لواطا ... لنام على الصراط المستقيم

قيل لأعرابي: أغلمة الرجل أشد أم غلمة المرأة؟ فقال مرتجلا: من الطويل:

فو الله ما أدري وإني لخابر ... أالأير أدنى للفجور أم الحر." (١)

"عن إفراطي في التقصير وإخلالي بقليل الحقوق والكثير شيمة لطف منه أوجبت عليه وله الفضل أن يوازي تقصيري بالتطول ويجازي **فضولي** بالتفضل وكان له أن يطيل أطال الله بقاءه العتاب ويسيء لولا حسين شمائله الخطاب ولكن أبي ذلك طيب العناصر وشرف الأوائل والأواخر فلا عد مناها شمائل تمارا الشمال من لطفها أدبا فتختال عجبا حتى تهز من عطفها طربا ولا برح أخي حرسه الله قرة عيون إخوانه وخلانه والقدوة في شيم الكرم وكرم الشيم يمن أهل زمانه هذا وقد سبق كتابه أيده الله مهنئا بشهر الصيام ملما والحق معه ببعض الملام وكتبت في جوابه بما لعله وصل إلى جنابه ثم وصلني كتابه الآن في زراعتي بناحية تل حوين مرسلا من طرف ولد أخيه الأمين فأحببت أن لا أخليه من جواب أسد به من الإخلال ثلما وأرفع نفسي عن حضيض التقصير سلما وأسلك به فيالوفاء محجته وأتخذه لدى الحاجة حجته إذ لم يخل الكتاب الأخير من لذعة ملام وإن كان على طرف الثمام ولكن ليس ينفعني مثل ضميرك نصيرا فاسأل به خبيرا وأنا اسأل الله سبحانه ولي الأنعام أن يهنئك الأعياد والأعوام والمواسم والأيام ويجزل أجرك على ما قدمت في شهر الصيام من الصوم والقيام وسائر أعمال البررة الكرام ويبلغك غاية المرام.

يهدي الأمين تحية الإبجال والإجلال لحضرتك ولكل من يلوذ بساحتك وينتمي لجهتك ولا سيما مولانا الوالد الكريم أطال الله بقاءه ومنى مثل ذلك.

وكتب إليه

أدام الله سبحانه وتعالى على سيدي الأخ الجليل المفضال ظلال الافضال بنوال الآمال وتقبل منه في هذا الشهر المبارك صيام الأيام وقيام الليال ومتعة بالعيد السعيد مستتبعا عود الأمثال يشيعها بأحاسن

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣/٢٢٠

الأعمال ويستقبلها بالقبول والإقبال طوال الأحوال في كمال الأحوال وقد ورد عزيز كتابه يتضمن حسن عتابه على انقطاع سلسلة المكاتبة وحصول الفترة في مداولة المخاطبة ولسيدي على كل حال." (١)

"شراب، موسيقى " ونهارها وشوارعها " قيعان لهب تجتر ما شربته في الضحى من اللهيب " وتمقت قلة الاكتراث للموت، حتى موت الصبي يمضي دون بكاء ؟يا للهول!! – " فالناس في المدائن الكبرى عدد " :

هذا أنا

وهذه مدينتي

.؟

ظل يذوب

يمتد ظل

وعين مصباح فضولي ممل

دست على شعاعه لما مررت

وجاش وجداني بمقطع حزين

بدأته ثم سكت

.؟

هذا أنا

وهذه مدينتي

هي حقا غربة من يبحث عن حرارة المشاعر في القلوب ؟كما كان يحسها في الريف – فلا يجدها، ليس في المدينة صاحب، وإنما الوجوه والمودات فيها بلون الطريق " طريق مقفر شاحب " ، ويستجدي الريفي " خيال صديق، تراب صديق، فلا يجد، كأن كل من في المدينة، لشدة الاغتراب والعزلة بين الواحد والآخر، غريب، صامت يضن بالتحية على من يمر به من الناس. وتزداد هذه الغربة في حدتها لأن الريفي هبط القاهرة دون نقود، فهو يجمع إلى العزلة والضياع جوعا مبرحا، ذا ألوان مختلفة، وإرهاقا واجتهادا." (٢)

---

(١) الآثار الفكرية، ص/١٤٣

(٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص/١٢٢

"البحر : متقارب تام (أحدثكم وهو عن طرفة ** حديثا يجر إلى الحرفة) (تمنيت من فضلكم غرفة ** فعاد فضولي على غرفة)

". (١)

"ولما أراد للمتوكل أبا العيناء على منادمته فال له يا أمير المؤمنين أنا محجوب والمحجوب يجور قصده ويقبل على من لا يقبل عليه وكل من في مجلسك يخدم وأتا أحتاج أن أخدم فيه " ويكنى " عن الاعور بالممتع وعن الذي في عينه نقطة بياض بالكوكبي والمكوكب وعمن بوجهه أثر بالمشطب " وما " أحسن ما كنى عوف بن محلم عن الصمم بقوله

ان الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

" فصل في البخل " يكنى عن البخيل بالمقتصد ويقال فلان نظيف المطبخ وفلان نقي القدر قل الشاعر

بيض المطابخ لا تشكو إمائهم ... طبخ القدور ولا غسل المناديل

" وقال آخر

مطبخ داود في نظافته ... أشبه شيء بعرش بلقيس

ثياب طباخه إذا اتسخت ... أنقى بياضا الفراطيس

أبو نواس

رأيت قدور الناس سودا من الصلى ... وقدر الرقاشبين بيضاء كالبدر

وقال الجماز لرجل رحم الله أباك فقد كلن نظيف منديل الخوان قال الاستاذ الطبري

فتى محتصر المأكو ... ل والمشروب والعطر

نقى الخبز والقص ... عة والمنديل والقدر

قليل النمل والذبان ... والجرذان والهر

وفي ذكر قلة الجرذان تقول اعرابية لبعض الخلفاء أشكو قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية لاكثرن جرذانك وأمر لها بطعام كثير ومال ومن نادر الكناية عن البخل بالطعام قول حمير وقد سئل عمن يحضر مائدة محمد بن يحيي فقال أكرم الخلق والأمهم يعنى الملائكة والذباب وليس بالبارد قول حماد عجرد

زرت أمرأ في بيته ما جدا ... له حياء وله خير

---

(١) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/١٦٤

يكره أن يتخم أضيافه ... ان اذى التخمة محذور

ويشتهي أن يؤجروا عنده ... بالصوم والصائم مأجور

ومن ذلك قول الآخر

على أبوابه أي وجه ... قصدت له أخو مر بن اد

ومما يستحسن في هذا الباب قول ابن طبا طبا العلوي

وكاتب حاسب ان رمت ملتمسا ... ما في يديه إذا ما رحت مجتديه

أضاف تسعين تقفوها ثلاثها ... إلى ثلاثة آلاف وتسعمايه

وقوله في هذه الكناية بعينها

ان رمت ما في يديك مجتديا ... أوجئت أشكو اليك ضيق يدي

عقدت لي باليسار أربعة ... مقبوضة سبعة من العدد

" فصل في الكناية " عن جملة من المعائب والأخلاق المذمومة إذا كان الرجل جاهلا قيل فلان من المستريحين لقولهم استاح من لا عقل له " فاذا كان " سليم الناحية ابله قيل فلان من أهل الجنة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أكثر أهل الجنة البله " فاذا كان " أحمق قالوا نعته لا ينصرف وأنشدني " أبو الحسن الشهرزوري قال أنشدتي أبو الحسن اللجام لنفسه في ابن مطران الشاشي لما صرف عن بريد الترمذية

قد صرفنا وكل من ... قبلنا فهو منصرف

وصرفنا بشاعر ... نعته ليس ينصرف

فاذا كان فضوليا داخلا فيما لا يعنيه متكلفا مالا يلزمه قالوا هو وصي آدم وقد توضع هذه الصفة موضع المدح كما قال الشاعر

وكات آدم حين حم حمامه ... وصاك وهو يجود بالحوباء

ببليه أن ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم غلة الابناء

فاذا كان وقحا قالوا هناك درقة وحدقة ووجنة مطرقة " وهذه " اللفظة للصاحب من كتاب له إلى ابي العباس الضبي في ذكر ابي الحسن الجوهري الشاعر فاذا كان قليل الدماغ قالوا فلان فارغ الغرفة قال الشاعر

صاحبنا احواله عاليه ... لكنما غرفته خاليه

فاذا كان كثير الطيش قالوا احضر معه وتدا " فاذا " كان كذوبا قالوا الفاختة عنده ابو ذر وهذه اللفظة عذبة

من ملج الصاحب ولم اسمع في معناها احسن وابلغ منها لان الفاخته يضرب بها المثل قال الشاعر

اكذب من فاخته ... تقول وسط الكرب

والطلع لم يبدلها ... هذا اوان الرطب

وابو ذر الغفاري من يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء وما اقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر " ومن "كناياتهم عن الكذب فلان يلطم عين مهران " ومهران " رجل يضرب به المثل في الكذب " فاذا "كان ملولا قيل فلان من بقية قوم موسى كما قال." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩٦ """""""

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال : حدثنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا أحمد الحسن بن عبد الجبار قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : حدثنا إسحاق ابن بنت داود بن أبي هند قال : أخبرنا عباد بن راشد البصري عن ثابت البناني قال : كنت عند أنس بن مالك ، إذ قدم عليه ابن له من غزاة ، يقال لها أبو بكر ، فساءله ، فقال : ألا أخبرك عن صاحبنا فلان ؟ بينا نحن قائلون في غزاتنا إذ ثار ، وهو يقول : وا أهلاه ، وا أهلاه ، فثرنا إليه ، وظننا أن عارضا عر ض له ، فقلنا : ما لك ؟ فقال : إني كنت أحدث نفسي ألا أتزوج حتى أستشهد ، فيزوجني الله تعالى من الحور العين ، فلما طالت علي الشهادة قلت في سفرتي هذه : إن أنا رجعت ، هذه المرة ، تزوجت ، فأتاني آت في المنام قال : أأنت القائل إن رجعت تزوجت ؟ قم ، فقد زوجك الله العيناء ، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة ، فيها عشر جوار . وذكر الحديث وقطع الحديث ، بسبب ما وقع في الجامع ، وذلك أنه تكلم رجل في المذهب ، فعاونه رجل فضولي في رواق الجامع ، وأخرجوه فقتل وانقطع عنا الحديث ، وقبر في غد في قبر معروف ، فسئل الشافعي أن يملي تمام هذا الحديث ، في يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الأولى ، فأملاه علينا ، وبيد كل واحدة صنعة تصنعها ، لم أر مثلهن في الحسن والجمال . فقلت : أفيكن العيناء ؟ فقلن : نحن من خدمها ، وهي أمامك . فمضيت ، فإذا روضة أعشب من الأولى ، وأحسن ، فيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ، وليس العشر إليها بشيء في الحسن والجمال ، قلت : أفيكن العيناء ؟ قلن : نحن من خدمها ، وهي أمامك . فمضيت ، فإذا بروضة وهي أعشب من الأولى والثانية في الحسن والجمال ، فيها أربعون جارية في يد كل واحدة منهن صنعة تصنعها وليس العشر والعشرون إليهن بشيء في الحسن والجمال ، قلت : أفيكن العيناء ؟ قلن : نحن من خدمها ، وهي أمامك . فمضيت فإذا

---

(١) رسائل الثعالبي، ص/٧٣

بياقوتة مجوفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنباها عن السرير ، فقلت : أأنت العيناء ؟ قالت : نعم مرحبا بك ، فأردت أن أضع يدي عليها ، قالت : مه ، إن فيك شيئا من الروح بعد ، ولكن تفطر عندنا الليلة ، قال : فانتبهت . قال : فما فرغ الرجل من حديثه ، حتى نادى المنادي : يا خيل الله اركبي ، قال : فركبنا فصاف الرجل العدو ، وقال : فإني لأنظر الرجل ، وأنظر إلى الشمس ، وأذكر حديثه ، فما ؟ أدري أرأسه سقط أم الشمس سقطت .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤١ """""""

أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحافظ قال : أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال : حدثنا محمد بن جعفر الأديب قال : حدثنا أبو القاسم السكوني إملاء قال : حدثني الحسين بن مكرم قال : حدثنا يزيد الثمالي قال : مات أبو العتاهية وعباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلي في يوم واحد ، فرفع خبرهم إلى الرشيد ، فأمر المأمون بحضورهم والصلاة عليهم ، فوافى المأمون ، وقد صفوا له في موضع الجنائز ، فقال : من قدمتم ؟ قالوا : إبراهيم ، قال : أخروه وقدموا عباسا قال : فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعض الظاهرية ، فقال له : أيها الأمير بم قدمت عباسا ؟ قال : يا فضولي بقوله : سماك لي قوم وقالوا : إنها . . . لهي التي تشقى بها وتكابد . فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ، . . . إني ليعجبني المحب الجاحد . القبلة القاتلة حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أحمد بن حرب قال : حدثني أبو عبد الله القرشي قال : حدثني أبو غسان قال : كان سبب وفاة مالك بن أبي السمح أنه لما كبر ضم إليه رجلا من قريش يقوم عليه ، ففرش له على سرير وخرق فيه خرقا لوضوء ، فأتته الجارية يوما بطعام فاكل ، ثم أتته ببخور فتبخر ، فوقعت الجارية بقلبه ، فاهوى إليها ليقبلها ، وتنحت عنه ، فسقط عن السرير ، فاندقت عنقه ، فمات .." (٢)

"وإذا كانت العلاقة بين بعض المدارس الأدبية والفلسفية التي تنتمي إليها علاقة تبدو أحيانا مخلخلة أو مفتعلة، أو قل غير مقنعة، فإن علاقة الأدب الإسلامي بأبيه الشرعي الإسلامي علاقة عضوية وثيقة لا يمكن فصمها إلا في الفترات الشاذة العصيبة، وفي عصور الجهل الأيديولوجي والمحن السياسية والاستعمارية، وهذا راجع لسبب أساسي ورئيس وهو أن الإسلام ليس فلسفة تجريدية، ولا منهجيا فضوليا يسمح له بالولوج إلى جهة، ويمنع من الدخول إلى جهة أخرى، بل هو صيغة شاملة كاملة تغطي جوانب

---

(١) مصارع العشاق، ١/١٩٦

(٢) مصارع العشاق، ١/٢٤١

الحياة كلها، كما أن الإسلام ليس مجرد فرضية أو نظرية تقف في استعلاء على ربوة منزلة، وتنتظر من يتوسل إليها بالقرابين والكلمات، ولكنه واقع حي معاش، فيه عظمة العصمة الإلهية، والاستجابة الصحية لواقع الحياة الإنسانية بما فيها من استقامة وشذوذ،وقوة وضعف، ومادة وروح، وفيه أيضا انفتاح واع على تجارب البشر، ومستجدا ت الحياة، دون شعور بالخوف والتردد، أو عقد من نقص ومهانة، إن صلابة الاستمساك بالثابت، وعظمة المسايرة مع المتطور، والقدرة على المرونة الأصلية، على ضوء المفاهيم والقواعد الشامخة ذات الصبغة الإلهية، كما أن فيه سماحة الفهم الصحيح للأديان الأخرى وما فيها من صدق أو تحريف (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك وإليك المصير) (البقرة: ٢٨٥).." [١]

"ألقي إلى أبي مسلم القاص خاتم بلا فص فقال: صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف! وقال قاص: ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها في موضعها ثم يصعد! فقيل: فالقطرة التي تقع في الكنيف يدخل معها الملك؟ فقال: إن في الملائكة كناسين كما في الناس وذوي دناءة وخسة. وقال أبو عقيل: الرعد ملك أصغر من نحلة وأعظم من زنبور! فقيل: لعلك تريد أصغر من زنبور وأعظم من نحلة! فقال: لو كان كذا لم يكن بعجب. وقرأ رجل في مجلس سيفويه قوله تعالى: " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه " فقال: دعنا من قرآن الحماشين وهات قرآن طرسوس، يعني الجهاد. وقال قاص: يا قوم اشكروا إذا لم يكن للملائكة نجاسة، فكانوا يخرون علينا ويلطخون ثيابنا! وقال يوما احذروا الله فإنه ماء تحت التبن! فقيل له: كيف؟ فقال: أهلك عالما في سبب ناقة قيمتها مائتا درهم، وقتل ابن النبي فلم ينتطح فيه عنزان، ربما يأخذ با لقليل ويعفو عن الكثير. وقال آخر: من صلى ركعتين فله بيت في الجنة. فقال نبطي: إن صليت خمسين ركعة هل يجعل لي بيت. فقال: لا يا ماص إن ذلك لبني هاشم، فأما أنت فيبنى لك جدح بعكر! وقال بعضهم: كان موسى عليه السلام **فضوليا**. قيل: وكيف؟ قال: قيل له وما تلك بيمينك يا موسى؟ فكان الجواب أن يقول، عصا، فقال: هي عصاي " الآية " فأخذ فيما لا يعنيه.

أدعيتهم:

دعا بعض القصاص فقال: اللهم جازفنا ولا تفتش عن ذنوبنا فتفضحنا. وكان بعضهم يقول: اللهم اغفر لنا كل نعمة وحسنة، واحشرنا في جملة سيدي أبو عبد الله بن حنبل، ولا تغفر للرافضة.

من أفتى في مسألة برقاعة:

---

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص/٢٩

ترك طبيب طبه وقعد فقيها فقيل له: ما تقول في من زعف في صلاته؟ فقال: يحتجم. قيل: فمن قلس في صلاته. فقال: يتناول حب أيارج. قيل: ذا طب وليس بفقه. وقيل لآخر: ما تقول في من خصى نفسه؟ قال: إن قصد الإضرار بامرأته حد. وقيل لبعضهم: إن نصرانيا قال: لا إله إلا الله. فقال: يؤخذ بنصف الإسلام، وإن مات دفن بين مقابر المسلمين ومقابر النصارى. وقيل لسيفويه: ما تقول في الأضحية؟ فقال: على الخبير سقطت، سألت عنها شيخا بنصيبين فلم يكن عنده فيها شيء. وقيل له: أتروي عن شريك شيئا؟ فقال: نعم حديثا واحدا. قيل: ما هو؟ قال: حدثنا شريك بن مغيرة عن إبراهيم مثله. قيل: مثل أي شيء؟ قال: ما أدري هكذا سمعته!.

من استغنى فيما لا يعرفه فانفصل عنه بحيلة:

قالت امرأة لرجل: إذا كان مكوك دقيق بدرهم ودانق كم يكون بأربعة دراهم؟ فلم يعرف جوابها. فقال: ممن اشتريت؟ قالت: من فلان. قال: اقنعي بما يعطيك فإنه ثقة. وسأل رجل في الجامع أبا عقيل مسألة في الحيض فلم يعرفها. فقال: يا أحمق اخرج هذه القاذورات والنجاسات من الجامع حتى تخرج منه! وكان بعض القصاص في حديث قتلى بدر فسئل عن النملة إذا ماتت في الماء هل يجوز شربه؟ فقال: ما لنا وهذا نحن في الن وق لسنا العنوق أي نتكلم في الكبار فلا نخوض في الصغار.

من استفتاء أحمق فأجابه بنادرة:

قال شامي لحمرة بن بيض: لم يرفع الكلب رجله إذا بال؟ قال: مخافة أن ينس سراويله. وسأل رجل الشعبي: كم أمهر ابليس امرأته؟ قال: ذاك أملاك لم أشهده. وقال له انسان: هل آكل الذباب؟ قال: إن اشتهيت فكل! وقيل لآخر: إذا دخلت النهر لأغتسل ففي أي جانب أفضل أن أقف؟ فقال: في الجانب الذي فيه ثيابك لئلا تسرق. وقيل لآخر: ما تقول في من نام وأيره قائم، فجاءت امرأة وقعدت عليه؟ فقال: لا أدري ما أقول، ولكن كان أيرا مرزوقا! وقال أبو حازم: جاء رجل إلى أبي، فقال: بأي رجل يجب أن يبدأ من يدخل المسجد؟ فقال: ما هذا مما يسأل عنه ولكن قد قيل للعروس ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين. وقال رجل لمفت بالبصرة: أسلمت ثوبا إلى الحائك فالدقيق على من يجب؟ فقال: الدقيق ولعنة الله على الحائك.

من استفتى في سخف فأجاب بمقتضاه:

قيل لعالم: ما بال عانة المرأة تنبت أكثف؟ فقال: لقربها من السماد وتسقى من عسل. وقيل: ما بال استاههن لا شعر عليها وعلى أستاء الرجال الشعر؟ فقال: لأن أستاه الرجال حمى وأستاه النساء مرعى.

وقال عبادة عند المأمون ليحيى بن أكثم: علمني فرائض الصلب فإني أشتهيها. فقال المأمون وتبسم: ما تقول في مسألة؟ فقال: قد أخطأ، أما كان يجب أن يسأل عن هذا في الصبا؟ أما سمع قول الشاعر:." (١)

"اجمعوا على أن الظفر مأسور بالصبر، والقدرة مقرونة بالحيلة، والإدراك موصول بالتأني. كتب كسرى إلى قيصر: أخبرني بأربعة أشياء ما أخالها إلا عندك ما عدو الشدة وصديق الظفر، ومدرك الأمل ومحتاج الفقر. وفي كتاب جاودان ثلاثة لا يصدقون: صبر الجاهل على المصيبة وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبت كنتها. وثلاث لا يستصلح فسادهن: العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء والركاكة في الملوك، وثلاث لا يفسد صلاحهن: العبادة في العلماء والقناعة في المستبصرين والسخاء في ذوي الأخطار. وثلاث لا يشبع منهن: العافية والحياة والمال. وقيل: إذا رأيت الفيل يمشي على الشرف فاطلبه في البئر. وقيل ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير قريب العهد بالغنى وومكثر يخاف على ماله وطالب مرتبة فوق قدره والحسود والحقود وخليط أهل الأدب وهو غير أديب. وقالت الهند: ثلاثا يسرعن إلى العقل الفساد: طول الكفاية والتعظيم الدائم واه ماء النفس. وقيل: أربعة تضيع: سراج في نهار ومطر في سبخة، وطعام عند غير ذي شهرة وزفاف بكر إلى عنين. وقال مسلم بن قتيبة: لا يجب الصبي أن يكون سخيا فإنه لا يعرف فضل السخاء، إنما يعطي ما في يده ضعفا. وقال الأصمعي: المهلكات أربع: الكبر والحسد والبخل والحرص. وقال معاوية: ثلاث ما اجتمعن في حر: مباهتة الرجال وغيبتهم وملال أهل المودة. وقيل: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسنه لنفسه. وقال صالح بن عبد القدوس: ما شيء إلا وفيه منفعة، فقال بعض من حضره: لو علق رجل بإحدى يديه أي منفعة فيه؟قال: لا يعرق إبطه. النية اساس الأعمال والأعمال ثمار النيات. وقالت الترك: حفظ مرتبة خير من خفض مرتبة. وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا كنت في قوم فحدثهم بقدر سنك، وخاطبهم بلفظ محلك، ولا ترتفع عن الواجب فتستقل، ولا تنحط فتحتقر. أربعة لا تنكتم: العقل والحمق والغنى والفقر. قيل: سمي الجار لتجيره والصديق لتصدقه والرفيق لترفق به. قيل: ما استقصى حر قط. قال الله تعالى " عرف بعضه وأعرض عن بعض " . فلم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم حفصة على ما كان منها. قال الأقطع رفيق الصناديقي: وقعت إلى بلدة قاصية من خراسان فسألوني هل تعرف شيئا من شعر الصاحب؟فأنشدتهم:

بودي لو يهوى العذول ويعشق

---

(١) محاضرات الأدباء، ٥٦/١

فقال فضولي: هذا للبحتري. فقلت: لقد قال ذلك رجل بنيسابور فضرب ثلاثمائة سوط، فسكت. عمي أبو الحسن الصوفي على الرئيس أبو الفضل:

أنا إن لم أك أهوا ... ك فرأسي في حر أمي

توقيع للصاحب:

وإذا أردتم أن تسروا عامرا ... فتعمدوا بصنيعكم أصهارها

قال القاضي أبو الحسن: استعار رجل من الخلاد شعره فقال يا بني: نحن أكلنا شعر الطائي والبحتري ومن يجري مجراهما، وهؤلاء أكلوا شعر النابغة حتى خرؤوا مثل هذا الشعر وأنت إذا أكلت شعري فأي شيء تخرأ؟قال حكيم: الحياء يمنع من عمل السيئات، والحمية تمنع من عمل الحسنات. قال أبو عبد الرحمن خالد بن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر؟قال: الدنيا لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. قال: بلى أصغر منها من عظمها. ثلاث يخبلن العقل: الخصومة الدائمة والدين الفادح والمرأة السليطة. وقال أبو يوسف: تعلموا كل علم إلا النجوم فإنها تكثر الشؤم، والكيمياء فإنه يورثث الإفلاس والجدال في الدين فإنه يورث الزندقة. من هانت عليه نفسه فلا تأمنن شره. قال حكيم: من الذي بلغ جسما فلم يبطر، واتبع الهوى فلم يعطب، وجاور النساء فلم يفتتن بهن، وطلب إلى اللئام فلم يهن، وواصل الأشرار فلم يندم، وصحب السلطان فدامت سلامته. قيل: جماع خير الدنيا والآخرة في ثلاث: أجر وشكر وذكر، فالأجر ثواب الله الذي لا يكون أجمع منه نفعا وأدوم ولا أكرم منزلة، والذكر فوق منزلة الشكر ودون منزلة الأجر، لأن الأجر أشد اشتمالا على جميع الخلق.

حكاية:." (١)

"ولي المحض من ودهم ... ويغمرهم نائلي

سئل بعضهم عن بلد فقال:

به البق والحمى وأسد حففنه ... وعمرو بن هند يعتدي ويجور

مفردات من الأبيات البديعة:

طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض!

النابغة:

---

(١) محاضرات الأدباء، 2/١٣٤

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب؟

آخر:

لعمرك ما شيء مرنت بذكره ... كآخر يأتي بغتة فيروع

آخر:

يمونني الأجر العظيم وليتني ... نجوت كفافا لا علي ولا ليا

أبو نواس:

ولما قرعنا بابه قام خائفا ... وبادر نحو الباب ممتلئا ذعرا

أبو تمام:

كالبكر توحشها مضاجع بعلها ... والحيض علتها وليس بحائض

الخبزارزي:

كن في الجماعات حيث كانوا ... فالموت عرس مع الجميع

وله:

مالي أحوط حول دجلة حائطا ... لولا اعتراض حماقتي **وفضولي**

آخر:

ما أهون الموت على النوائح!

إسماعيل:

صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما بقي في الحلاب

آخر:

وأترك الشيء أهواه فيعجبني ... أخشى عواقب ما فيه من العار

آخر:

فلو أن لي تسعين قلبا تشاغلت ... جميعا فلم يفزع إلى غيرها قلب

آخر:

دلا على حيلة فيها لنا فرج ... إن الدليل على خير كمن فعلا

آخر:

ولي ظنان بينهما رجاء ... يكذب سوء ظني حسن ظني

هارون المعتصم:

إذا ما خانني يوما جوادي ... جعلت الأرض لي فرسا وثيقا

آخر:

واسرع نسياني الذي لا يهمني ... ونسياني الشيء المهم قليل

آخر:

أنت والله حمار ... قاعد بين حمير

آخر:

هون الأمر تكن في راحة ... قلما هونت أمرا لا يهون

المتنبي:

لله حال أرجيها وتخلفني ... وأرتجي كونها دهري وتمطلني

محمد بن يحيى:

قتلت أعز من ركب المطايا ... وجئتك أستلينك في الكلام

يعز علي أن ألقاك إلا ... وفيما بيننا حد الحسام

ولكن الجناح إذا أصيبت ... قوادمه أسف على الأكام

الطاهر:

ولم أر دبدبة قبله ... يدق على بابه دبدبه

أبو القاسم التنوخي:

تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلا ... فمبلغ آراء الرجال رسولها

آخر:

إذا تخازرت وما بي من خزر ... ثم كسرت العين من غير عور

وجدتني ألوي بعيد المستمر ... أحمل ما حملت من خير وشر

ابو القاسم الأعمى:

إن الجديد إذا ما زيد في خلق ... تبين الناس أن الثوب مرقوع

ابن طباطبا:

أمن سربله الإشفاق سربال المروع

الخبزارزي:

أحب فمن ذا الذي كلفه ... ومل فمن ذا الذي استعطفه؟

فلا أحد في الرضا سره ... ولا أحد في القلى عنفه

وكنا وكان كما قد علمت ... فماذا التعدي وماذا السفه؟

وفي الناس من يتجنى الذنوب ... وذا قد تجاوز حد الصفه

وما كل من كان ذا قوة ... يناوي الضعيف إذا استضعفه

ويزعمني صدفا خاليا ... من الدر في مثل ما صرفه

ولو شئت عرفته من أنا ... وإن كان بي جيد المعرفه

وفوعون يعرف من ربه ... ولكن طغيانه سوفه

وسل من تعرض لي بالهجا ... وعن عرضه اين قد خلفه؟

ابن الرومي:

وامتناع النفس مما تشتهي ... خشية الإنفاق نقص في النسب

البحتري:

أضيع في معشري وكم بلد ... يعد عود البكاء من حطبه

جحظة:

إذا الشهر هل ولا رزق لي ... فعدي أيامه باطل

المتنبي:

توهم القوم أن العجز قربنا ... وفي التقرب ما يدعو إلى التهم

ابن الرومي:

توقي الداء خير من تصد ... لأيسره وإن قرب الطبيب

آخر:

خرجنا لم نصد شيئا ... وما كان لنا أفلت

المتنبي:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٤٢/٢

"فصرت كالسيف حامدا يده ... ما يحمد السيف كل من حمله

يقول: لما علمت بفصاحته، تأنقت في شعري، وهذبت ألفاظه، فصارت فصاحته سببا إلى تجويد شعري، كما كان جودة ضربه وقوة ساعده سببا لإظهار حد سيفه، فصار سيفه حامدا له حيث أظهر جودته، ثم قال: ما يحمد السيف كل من حمله يعني: أن السيف إذا كان في يد من لا يحسن الضرب نبا إن كان ماضيا، وإنما يعمل في يد الحاذق بتصريفه فلا يحمد السيف دون من لا يحسن الضرب به.

وجلس معه ليلة على الشراب فنهض لينصرف وقت انصرافه، فسأله الجلوس فجلس، فخلع عليه ثيابا نفيسة، ثم نهض لينصرف فسأله الجلوس فجلس، فأمر له بثمن جارية فحمل إليه، ونهض لينصرف، فسأله الجلوس بقود مهرة إليه، فقال له ابن الطوسي الكاتب: لا تبرحن الليلة يا أبا الطيب فأجابه:

أعن إذني تهب الريح رهوا ... ويسري كلما شئت الغمام؟!

ولكن الغمام له طباع ... تبجسه بها وكذا الكرام

يقول مجيبا لذلك: لا أنصرف استزادة مني لهباته، ليس عن أمري ولا كان طلبي من الرجل، إن ما ترى من جود الأمير ورجوليته، كرم طبعه يدعو إليه. كما أن الغمام ليسح ماؤه لطبعه، دون أن يبعثه عليه باعث، ولا يقدر أحد أن يحبس مطره، فكذلك هذا الرجل لا يمكنه أن يمتنع عن العطاء، لأن الله تعالى فطره على ذلك وروى: تبجسه بها ولها والهاء: للطباع وفي تبجسه للغمام.

وأراد أبو العشائر سفرا فقال أبو الطيب يودعه:

الناس ما لم يروك أشباه ... والدهر لفظ وأنت معناه

المصراع الأول له معنيان أحدهما: أن الناس إذا لم تكن فيهم متساوون ليس لواحد منهم فضل على صاحبه، فإذا حضرتهم فضلتهم فتفاوتوا بك،فصاروا **المفضولين** وأنت الأفضل. والثاني: أن الناس ما لم يروك فهم سواء، فإذا رأوك تفاضلوا في أقدارهم، فكل من رآك أكثر فهو أشرف، وكل من قربت منزلته منك فهو أفضل. يريد: أن الناس إذا رأوه تعلموا أسباب الرياسة منه، واهتدوا بأفعاله إلى المكارم، فمن صحبه أكثر كان إلى السيادة أقرب.

وأما المصراع الثاني فمعناه: أن الأفعال التي تنسب إلى الدهر من إعزاز وإذلال، وإحسان وإساءة، إنما هي عبارة عنه وإنها تنسب إليه بالقول، وإلا في الحقيقة فأنت فاعلها والمعني بها، لأنك تفعل ذلك دون الدهر.

والجود عين وأنت ناظرها ... والبأس باع وفيك يمناه

يقول: قوام الجود بك، كما أن العين بناظرها. والبأس: وهي الشجاعة، قوامها بك، ووجودها بسببك، كما

أن الباع بطشه وفضله في اليد اليمنى.

أفدي الذي كل مأزق حرج ... أغبر فرسانه تحاماه

أعلى قناة الحسين أوسطها ... فيه وأعلى الكمي رجلاه

الحرج: الضيق. المأزق: المضيق في الحرب. والأغبر: المظلم الذي عليه غبرة. وتحاماه: تجنبه. والهاء في فيه ترجع إلى المأزق. وقيل: إلى الذي وقوله: كل مأزق مبتدأ، وأغبر في موضع جر، صفة لمأزق، وإن شئت رفعته فيكون صفة لكل، وفرسان مبتدأ آخر، وتحاماه خبره، وهذه الجملة صفة لمأزق، ولكل. والهاء في فرسانه تعود إلى المأزق وكذلك في فيه.

يقول: أفدي الفارس الذي إذا حصل في مضيق أغبره. يحذر منه الفرسان ويتركونه، ويكون أعلى رمحه في ذلك المأزق أوسطه؛ لأنه يكثره بكثرة الطعن حتى يصير وسطه أعلاه، أو يثنيه إذا طعن فارسا فيصير أعلاه أسفله وكذلك ينكس الفارس الشجاع عن فرسه، فيكون رجلاه فوقه وأعلاه، أو ينتفخ بعد قتله إياه وترتفع رجلاه فوقه. وما بعد قوله: الذي إلى آخره، داخل في صفة الذي وموضعه نصب بأفدي، أي أفدي الذي هذه صفته.

تنشد أثوابنا مدائحه ... بألسن ما لهن أفواه

يقول: إن أثوابنا تنشد مدائحه، من حي إن الناس إذا رأوها علينا علموا أنها من خلعه، حتى لو لم نشكر له لأعلنت هذه الثياب بمدحه.

والثاني: هو أن لأثوابنا التي خلعها علينا صوتا لجدتها، فهذا الصوت كإنشادها مدائحه. ذكره ابن جنى.

إذا مررنا على الأصم بها ... أغنته عن مسمعيه عيناه

هذا يؤكد المعنى الذي بدأنا بذكره. يعني أن هذه الثياب إذا مررنا بها على الأصم، فمتى رآها علم أنها من خلعه، فأغنته عيناه عن أذنيه.

سبحان من خار للكواكب بال ... بعد ولو نلن كن جدواه

نلن: أي أدركن وهو فعل ما لم يسم فاعله.." (١)

"إذن حقيقة الجمال الشعري مثول القدرة على التعبير الجميل عن أي مضمون جميل أو قبيح.

قال أبو عبدالرحمن : والذي أحرج القوم في غياب التصور للفصل بين الشكل والمضمون أنهم يطالبون بتحقيق وجودين منفصلين لنص شعري، فتقول : قال أبو نواس شكلا منفصلا عن المضمون !! .

---

(١) معجز أحمد، ص/٢٠٩

وهذا محال بلا ريب، لأن الشاعر حقق مراده بحيله الفني، ولا ينفصل مضمونه عن وسيله أدائه، إلا أن هذه الوحدة غير مؤثرة في محل النزاع .

وإنما محل النزاع القدرة على التعبير الجميل عن مضمون جميل أو قبيح، وهذا متحقق بالجهتين اللتين ذكرتهما آنفا.

فالشعر قدرة على الأداء الجميل لأي مضمون .

والمضمون إرادة سلوكية فحسب تكون بالشعر وبالكلام العادي .

والتفريق بين المضمون والشكل تفريق لغوي، وتفريق تجربة بشرية .. إنه تفريق مثلا بين أساليب طه حسين والزيات وسيد قطب ودريني خشبة وأساليب الهمذاني والحريري وكتاب عصور البديع المتكلف لو تناولوا كلهم مضمونا واحدا.. إذن المضمون الواحد قابل التعبير به أكثر من شكل .

أما أنهما لا ينفصلان إذا اجتمعا فتلك قضية أخرى لا تمنع من قدرة الأديب في البداية –قبل الجمع بينهما– من اختيار الأسلوب الذي يريده للمضمون الذي أراده.

ألا ترى أن زيدا من الناس لا ينفصل لحظة من الزمن منذ وجد من كونه حيا أو ميتا بالتعبير الحقيقي لا المجازي .. فهل كون زيد حيا حتما أو ميتا حتما .. لا ينفصل عن الحياة أو الموت .. هل كونه حتما كذلك يمنع من كون زيد والحياة غيرين، وكون زيد والموت غيرين ؟!.

قال أبو عبدالرحمن : ومن الأمور الفضولية المقحمة في علم الشعر ونقده ونظريته وتاريخه ما يتعلق بصحة البناء لغة من جهة المفردة والرابطة والصيغة وصحة التركيب نحوا. فهذا شرط عربية اللغة، أو فارسية اللغة، أو إنجليزية اللغة .. إلخ.

والشعر إنما تصطفي نظريته الظاهرة الجمالية في التعبير، لا مقومات الصحة لغويا .." (١)

"وإذا أراد الشاعر أن يعبر بلغة عربية، فمن شرط إرادته أن يحقق الصفة لشعره بأن يكون عربيا .

وإذا كان حق على عربي أن لا يقول غير الشعر عربي فصيح فليس ذلك من مقتضيات خاصية الشعر، وإنما يطلب لذلك مسوغ من غير نظرية الشعر.

ومسائل البلاغة عناصر جمالية، وهي تراعي قدرة الشاعر على تحقيق مراده، فإذا كانت إرادته أن يقول شعرا فصيحا فحينئذ يكون عجزه قبحا بمقتضى النظرية الشعرية .

ومن الأمور الفضولية المقحمة إدخال دلالة الشعر اللغوية والتاريخية والأخلاقية والجغرافية في علم الشعر.

---

(١) مبادئ في نظرية الشعر والجمال، ص/٤

فهذا يسرد نصوص الشعر في وصف الطبيعة بالأندلس، وآخر يسرد النصوص ويبوبها على أغراض الشعر من مدح وهجاء وغزل.. إلخ، وثالث يستظهر من نماذج الشعر أسماء الأعلام البلدانية أو الأحداث التاريخية، ثم يسمون ذلك نقدا أدبيا، أو دراسات أدبية .

وإنما كل ذلك تاريخ، وجغرافيا، وترجمة للشاعر.. وعلاقة الشعر بـكل ذلك أن الشعر رافد ومصدر.

ولا يدخل في علم الشعر إلا ما رصد ظاهرة جمالية فقننها، أو أرخ لها، أو فلسفها سيكلوجيا رابطا لها بملكة الإبداع، أو سبرها في المسار الأدبي التاريخي، وذلك هو الأدب المقارن .

قال أبو عبيد عبدالرحمن : وحينما أربط الشعر بشرطه الجمالي : فليس معنى ذلك أن فلسفتي الجمالية جزئية، ولا أنها دونية تقنع بمجانية الجمال للتسلية فحسب!.

بل الجمال في تجربتي العلمية عطاء علمي وفكري، والحس الجمالي ذو مستويات علوا ودنوا ترصد في الموضوع بناء على مستويات ذاتية علوا ودنوا أيضا في التربية والفكر والعلم .

وتضمحل مجانية الجمال في الإحساس بمقدار ما يتربى الحس علميا وفكريا .

ومن أهم عناصر الجمال الدهشة، والإثارة، والقدرة على التغيير باستقطاب الجمهور المتلقي، والجبروت الفكري، والجدة والابتكار، والإيحاء ، والعظمة.." (١)

"وقال الزبيدي :"**والفضولي** بالضم المشتغل بما لا يعنيه .. وقال الراغب: الفضول جمع الفضل .. وقد استعمل الجمع استعمال المفرد فيما لا خير فيه، ولهذا نسب إليه على لفظه، فقيل : **فضولي** لمن يشتغل بما لا يعنيه، لأنه جعل علما على نوع من الكلام فنزل منزلة المفرد .. **والفضولي** في عرف الفقهاء من ليس بمالك ولا وكيل ولا ولي؟ .. وزاد الصاغاني : وفتح الفاء منه خطأ"(٧).

قال أبو عبدالرحمن : تلخص من معاني فضل دورانها على الزيادة، والبقية. وقولهم :"فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار": لا ينطبق على معنى فضل لغة، لأنك إن جعلت فضلا بمعنى الزيادة كان المعنى : فلان لا يملك درهما زيادة عن دينار. وليس معنى الجملة نفي ملكه للدرهم والدينار معا، بل المراد نفي ملكه للدرهم تنصيصا، ونفي ملكه للدرهم والدينار معا، بل المراد نفي ملكه للدرهم تنصيصا، ونفي ملكه للدينار بالأولوية .

وإن جعلت فضلا بمعنى البقية كان المعنى : فلان لا يملك درهما بقية عن دينار. وليس معنى الجملة نفي ملكه للدرهم . وبعد هذا فلا معنى لكون الدرهم بقية عن دينار، لأن الدرهم جزء من الدينار، ولا

---

(١) مبادئ في نظرية الشعر والجمال، ص/٥

يوصف بالبقية إلا في سياق خاص، كأن يكون في جراب دينار مصروفا دراهم، فتجد في الجراب درهما، فيقال لك : هذا بقية الدينار .

قال أبو عبدالرحمن : وبعد هذا التحرير – خلال رحلتي لتونس في الأسبوع الأخير من شعبان عام ١٤١٧هـ ، وجدت رسالة خطية لابن هشام بدار الكتب الوطنية التونسية برقم ٢٦٣٦ أجاب فيها على أسئلة نحوية أولها إعراب "فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار" (٨) وقال في هذه الرسالة :"وهذا التركيب زعم بعضهم أنه مسموع، وأنشد عليه:

"فلا يبقى على هذا الغلق * * * صخرة صماء فضلا عن رمق"

ثم قال :"وانتصاب فضلا على وجهين محكيين عن الفارسي: أحدهما : أن يكون مصدرا لفعل محذوف، وذلك الفعل نعت للنكرة .." (١)

"وأني له أن يدرك الحياة، وما هو إلا جزء منبثق عن الحياة، وخلقته الحياه في ظروف معينة ليعمل في ظروف معينة؟.

لو كان ذلك في مقدوره لكان معناه أن الجزء يساوي الكل، والمعلول يمكن أن يمتص علته، ولجاز أن يقال : إن المحارة ترسم شكل الموجة التي حملتها إلى الشاطئ .

والواقع أننا نشعر بأن كل مقولاتنا العقلية لا تنطبق على الحياة : من وحدة وكثرة، وعلية آلية، وغائبة ذكية . وعبثا نحاول أن نولج ما هو حي في هذا الإطار أو ذاك، فإن كل الإطارات تنكسر، لأنها ضيقة جدا، قاسية جدا .

خصوصا بالنسبة إلى ما نريد إدخاله فيها .

قال أبو عبدالرحمن : لست والله أعلم في أي عقل وجد برجسون أن العارف يساوي المعروف حتى يلزم من معرفة الجزئي للكلي أن تالجزء يساوي الكل ؟!.

ولست أعلم في أي عقل وجد أن الموجود المعلول يمتص علته إذا علم علة وجوده؟!.

ولا أحد يدعي أن العقل يعلم كل حقائق الوجود، وإنما يعلم ما غاب عنه من خلال ما حضر عنده من مدركات الحس، فيكون علمه علم أحكام كلية من خلال أفكاره الفطرية التي لا يخطو العلم دونها، ومعرفة وجود لبعض الأشياء، وعلم وصف (لا تكييف) من خلال أحكامه الفطرية الخالصة . ومن خلال آثاره الموجود المشاهدة . وهو علم كيفية وكمية لما يخضع لإعادة إحضار المعرفة بالحس المكرر (التجربة) .

---

(١) مبادئ في نظرية الشعر والجمال، ص/١١

وليس في سياق برجسون ما يقتضي تمثيله **الفضولي** بالمحارة وشكل الموجة، ولا دلالة ألبتة في هذا المثال على نفي معرفة العقل لما هو جزء منه، وهو الطبيعة .

وبرجسون يتحدث باسم العلم افتراء، وذلك عند نفيه السكون، والتجزؤ في المكان، ورد البدهيات التي تميز الموجودات من وحدة وكثرة، ورد البدهيات في وصف المعلوم من الكون وتفسيره بالعلية والغائية .

وحجته المادية الإلحادية أن الكون في حركة دائبة، وتغير، وصيرورة .." (١)

" دعامة العقل الحلم

دنياك ما أنت فيه

دخل **فضولي** النار فقال : الحطب رطب

دل على عاقل اختياره

دع اللوم إن اللوم عون النوائب

دواء الدهر الصبر عليه

دع المراء وإن كنت محقا

دعوا قذف المحصنات تسلم لكم الأمهات

الدراهم أرواح تسيل

الدابة تساوي مقرعة

الدنيا قنطرة

الدراهم مراهم

الدنيا قروض ومكافآت

الدرجة أوثق من السلم

يضرب في اختيار ما هو أحوط

الدينار القصير يسوى دراهم كثيرة

يضرب للشيء يستحقر ونفعه عظيم

الدراهم بالدراهم تكسب . [ص ٢٧٥] ." (٢)

---

(١) مبادئ في نظرية الشعر والجمال، ص/٤٨

(٢) مجمع الأمثال، ١/٢٧٤

" طاعة اللسان ندامة

طبيب يداوي الناس وهو مريض

طريق الحافي على أصحاب النعال وطريق الأصلع على أصحاب القلانس

طبل بسري

إذا أفشاه

طول اللسان يقصر الأجل

طواه طي الرداء

طلاب العلا بركوب الغرر

طعمة الأسد تخمة الذئب

طول بلا طول ولا طائل

طاعة الولاة بقاء العز

طول التجارب زيادة في العقل

الطمع الكاذب فقر حاضر

الطمع الكاذب يدق الرقبة

قاله خالد بن صفوان حين واكله لأعرابي وذلك أنه كان قد بنى دكانا مرتفعا لا يسع غيره ولا يصل إليه الراجل فكان إذا تغدى قعد عليه وحيدا يأكل لبخله فجاء أعرابي على جمل ساوى الدكان ومد يده إلى طعامه فبينما هو يأكل إذ هبت ريح وحركت شنا هناك فنفر البعير وألقى الأعرابي فاندقت عنقه فقال خالد : الطمع الكاذب يدق الرقبة فذهبت مثلا

الطير بالطير يصطاد

الطيور على ألافها تقع

الطبل قد تعود اللطام

اطرح نهدك وكل جهدك

اطلع القرد في الكنيف فقال : هذه المرآة لهذا الوجيه

اطرح وافرح

طفيلي ومقترح

يضرب للفضولي ." (١)

"لم تزل إصبهان مخصومة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء، وفحولة الكتاب والشعراء، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيرا من أصحابه وصنائعه. وصارت مركز عزه، ومجمع ندمائه، ومطرح زواره، استحقت أن تدعى مثابة الفضل، وموسم الأدب، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها، وسياقة عيون أشعارهم، وملح أخبارهم، كمنصور بن باذان، وأبي دلف العجلي، وأخيه معقل بن عيسى، وبكر بن عبد العزيز، وأحمد بن علويه، والنضر بن مالك، وعلي بن المهلب، وأبي نجدة، وأحمد ابن القاسم الديمرتي، وأبي عبد الله تاج الكاتب، وسهلان بن كوفي، وصالح ابن أبي صالح، وأحمد بن واضح، ومحمد بن عبد الله بن كثير، وعبد الرحمن ابن مندويه، وأبي بكر بن بشرويه، وابن زرويه، وأبي الهدهد، وأبي قتيبة، ومحمد بن غالب، والحسن بن إسحاق بن محارب، وأبي بكر الزبيري، وأبي علي بن رستم، وأبي مسلم بن بحر، وأبي الحسين بن طباطبا، وابن كره، والنوشجان بن عبد المسيح، وعلي بن حمزة بن عمارة، وإبراهيم بن سيارة الكادوسي، وأبي جعفر بن أبي الأسود، وأبي سعد بن نوفة، وأبي العباس بن أحمد بن معمر، وأبي عمرو همام، وأبي سوادة، وأبي القاسم بن أبي سعد، وغيرهم، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي، وأبي سعيد الرستمي، وأبي القاسم بن أبي العلاء، وأبي محمد الخازن، وأبي العلاء الأسدي، وأبي الحسن الغويري - حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل، وأفراد الدهر، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها، وصحة ترتبها، وعذوبة مائها، في طباع أهلها، وعقول أنشائها، وأرجع إلى المتن فقد طال الإسناد، ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينتهي عنه.

عبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي

هو على سياقة المولدين، وفي مقدمة العصريين، خفيف روح الشعر، ظريف الجملة والتفصيل، كثير الملح والظرف، يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه، ولا أظرف، ولا أعذب منه، ولا أخف:

في مشيبي شماتة لعداتي ... وهو ناع منغص لحياتي

ويعيب الخضاب قوم وفيه ... لي أنس إلى حضور وفاتي

لا ومن يعلم السرائر مني ... ما به رمت خلة الغانيات

---

(١) مجمع الأمثال، ١/٤٤٢

إنما رمت أن أغيب عني ... ما ترينيه كل يوم مراتي

فهو ناع إلي نفسي ومن ذا ... سره أن يرى وجوه النعاة

وكان خفيف الحال، متخلف المعيشة، قاعدا تحت قول أبي الشيص:

لا تنكري صدي ولا إعراضي ... ليس المقل عن الزمان براضي

وهو القائل:

قلت للدهر من فضولي قولا ... وحداني عليه طيب الأماني

أتراني بخلعة أنا أحيا ... ذات يوم وفاخر الحملان

قال هيهات أنت والنحس تربا ... ن وقد كنتما رضيعي لبان

لا تؤمل ركوب متن سوى النعش ولا خلعة سوى الأكفان

وله أبيات:

تكلفني الـتصبر والتسلي ... وهل يسطاع إلا المستطاع

وقالوا قسمة نزلت بعدل ... فقلنا ليته جور مشاع

وقال أيضا:

تعيب الغانيات علي شيبي ... وتخفي شيبها عني المقانع

وقال لي العذول تعز عنها ... وإلا فانظرن ما أنت صانع

فقلت له متى قدمت خيرا ... وأيرا بعده ليست تمانع

وله من كلمة:

هيهات نجمي آفل شارد ... ولى فما يخرق أبراجه

أظل أخفي حججا أدبرت ... والسبع والسبعون محتاجه

وشر أيام الفتى آخر ... فيه يسمى للشقاء خواجه

وله:

أللشيب تخشى من ملال خرائد ... وهن لعلات الفؤاد مراهم

إذا كنت ذا مال فأنت محبب ... إليهن، صيد الغانيات الدراهم

وله في كلمة وصف هنه:

ولي صاحب ما حال عن حسن عهده ... ولم تر عيني منه أوفى وأكرما

يساعدني دون الأخلاء في الدجا ... إذا نام من قد كان شوقا تنجما

فأهدا ولا يهدي وإن نمت لم ينم ... ويغري بذكراكم إذا الليل أظلما." [1]

"أو عند النواعر (١) ... والروض الشريق (٢)

أو قصر الرصافه ... أو وادي العقيق

رحق (٣) والله دونك ... هو عندي الحريق

وفي حبك أمسيت ... في أهلي غريب

وما الموت عندي ... إلا حن تغيب

اتكل على الله ... وكن فظ جسور

وإن ريت **فضولي** ... وقل إين تمور

كمش عنو (٤) وجهك ... فإن راك نفور

يهرب عنك خايف ... ويبقى مريب

وامش أنت موقر ... كأنك خطيب

ما أعجب حديثي ... إش هذا الجنون

نطلب وندبر ... أمرا لا يكون

وكم ذا نهون ... شيئا لا يهون

وإش مقدار ما نصبر ... لبعد الحبيب

رب اجمعني معو ... عاجلا قريب

---

(١) ج: النواير.

(٢) ج: الرشيق.

(٣) ك ط: حرق؛ ج: حدق.

(٤) ك: عني.." [2]

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٢٠/١

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٧٩/١

"""""""""" صفحة رقم ٢٢٠ """"""""

مثل آخر على تيقظ المعتضد وعلو همته

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي ، قال : حدثني أبو علي الحسن بن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وكان ينادم المعتضد ، ويتجاسر عليه ، قال : كنا نشرب يوما مع المعتضد ، حتى دخل عليه بدر ، فقال : يا مولاي ، قد أحضر القطان الذي من بركة زلزل . قال : فترك مجلس النبيذ ، وقام إلى مجلس في آخر ذلك المجلس ، ودونه ، ونحن نراه ونسمع كلامه ، ومدت بيننا وبينه ستارة ، ولبس قباء ، وأخذ بيده حربه ، وجلس كالمغضب المهول ، حتى فزعنا نحن منه ، مع أنسنا به . وأدخل إليه شيخ ضعيف ، فقال له بصياح شديد : أنت القطان الذي قلت أمس ما قلت ؟ فغشي على القطان ، فأمر به فعزل ناحية . فلما سكن جاءوه به ، فقال : ويلك ، مثلك يقول ليس للمسلمين ناظر في أمورهم ، فأين أنا ؟ وأي شغل شغلي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل سوقي ، ما أعرف غير الغزل والقطن ومخاطبة النساء والعامة ، وإنما اجتاز بنا رجل بايعنا شيئا كان معه ، فوجدنا ميزانه ناقصا ، فقلت هذا الكلام ، وعنيت به المحتسب لا غيره . فقال له المعتضد : الله ، إنك أردت به المحتسب ؟ فقال : والله ما عنيت غيره ، وأنا تائب أن أتكلم بما يشبه هذا . فقال : يحضر المحتسب ، ويبالغ في الإنكار عليه لم غفل عن إنكار مثل هذا ، ويؤمر بتعييره ، وتتبع الطوافين ، وأهل الأسواق ، والتعيير عليهم . وقال للشيخ : انصرف ، لا بأس عليك ، ودخل ، فضحك ، وانبسط ، وعاد يشرب . فلما حمل علي النبيذ ، قلت له : يا مولاي ، تعرف فضولي ، فتأذن لي في أن أقول ؟ فقال : قل .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٣ """"""""

تجارى قوم في مجلس لهم حديث الكمال في الرجال ، ودخول النقصان عليهم للآفات ، فقال بعضهم : من كان أعور فهو نصف رجل ، ومن لن يحسن السباحة فهو نصف رجل ، ومن لم يكن متزوجا فهو نصف رجل . وكان فيهم أعور ، ولم يكن يحسن السباحة ولا متزوجا ، فالتفت إلى ذلك الإنسان وقال له : إن كان علي ما تقول فأنا أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء . قال بعضهم : مررت بمنجم قد صلب ، فقلت له : هل رأيت في نجمك وحكمك هذا ؟ قال : كنت رأيت رفعة ، ولكن لم اعلم أنها فوق خشبة . قال بعضهم : نزلت بعض القرى ، وخرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج ، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر ، وملأ الجرة وانصرف راجعا ، فقلت له : يا هذا ، أنت أعمى

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٢٢٠/١

، والليل والنهار عليك سواء ، فما معنى هذا السراج ؟ قال : يا **فضولي** ، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضئ به ، فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي ويكسر جرتي . صدم اعور في بعض الأسواق امرأة ، فالتفتت إليه وقالت : أعمى الله بصرك ، فقال : يا ستي ، قد استجاب الله نصف دعائك . دخل إلى بعض العور رجل من جيرانه – ومعه حمار – فقال : أيها الأستاذ اشتريت هذا الحمار فأحببت أن أتبرك بنظرك إليه فكم يساوي عندك ؟ فتأمله ، ثم قال : يساوي خمسين درهما . وكان الرجل قد اشتراه بمائة درهم ، فقال : لا إله إلا الله ما أخطأت بفلس ، فإني اشتريته بمائة ، وأنت رأيت نصفه . غنت مغنية بصوت فيه ' الله يعلم . . ' فكررته مرارا ، فقال ابن مكرم : أنك بغيضة . سئل رجل عن سن امرأته – وكانت قديمة الصحبة له – فقال : خذوا عيار رأسها من لحيتي . قال أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامك – يعني جعفر الصادق عليه السلام – فقال له : لكن إمامك لا يموت إلى يوم الدين . يعني ، إبليس .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٣ """""""

ودخل على محمد بن عبد الملك ، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه ؛ فقال : إن من حق نعمه أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك ، فإن من أوحش انقبض عن المسألة ، وبكثرة المسألة مع النجح يدوم السرور . فقال له محمد : أما إني أعرفك **فضوليا** كثير الكلام وأمر به إلى الحبس ؛ فكتب إليه : قد علمت أن الحبس لم يكن من جرم تقدم إليك ، ولكن أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي ؛ لأن كل جديد يستلذ ، ولا بأس أن ترينا من عفوك حسب ما أريتنا من قدرتك . فأمر بإطلاقه ، ثم لقيه بعد أيام ، فقال : يا أبا العيناء ، ما تزورنا حسب نيتنا فيك ؟ . فقال : أما نيتك فمتأكدة ، ولكن أرى أن الذي جدد الاستبطاء فراغ حبسك ، فأحببت أن تشغله بي . واعترضه يوما أحمد بن سعيد ، فسلم عليه ؛ فقال أبو العيناء : من أنت ؟ قال : أحمد بن سعيد ؛ فقال : إني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلي من أسفل ، فماله ينحدر علي من علو ؟ قال : لأني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغيف لأعضك بما تكره . وقال يوما لعبيد الله بن سليمان : إلى كم يرفعني الوزير ، ولا يرفع بي رأسا ؟ . وقال له يوما : كيف حالك ؟ فقال : أنت الحال ، فإذا صلحت صلحت . وقربه يوما ؛ فقال : تقريب الولي وحرومان العدو . وقيل له : أتشرب النبيذ ؟ فقال : ' ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ' . وقال يوما لعبيد الله بن يحيى : أيها الوزير ، قد برح بي حجابك ؛ فقال له : ارفق . فقال : لو

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ١٥٣/٢

رفق بي فعلك رفق بك قولي . وقال يوما لعيسى بن فرخانشاه ، وقد بالغ أحمد بن المدبر : أتبالغه ، وشطر اسمك عني ، وما بقي فثلثا مسي ؟ . وقيل : لا تعجل ، فإن العجلة من الشيطان ؛ فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام : ' وعجلت إليك رب لترضى ' .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١٣ """""""""

الباب الثاني عشر أمثال العامة

باع كرمه واشترى معصرة . باع الدواء واشترى رمكة . إن كان معلم وإلا فدحرج . من صير نفسه نخالة ، أكلته الدجاج . اصبر من خلد الحداد . أنذل من فأر السجن . من أنفق ولم يحسب ، خرب بيته ، ولم يعلم . المنخل جديد سبعة أيام . ينيك المولى ، ويفرح الخصي . **الفضولي** دخل النار . ما فرحنا بإبليس ، فكيف بأولاده ؟ ما رضياه نديم ، صار زوج أم . اسكت بخرا في حق . كأنه حر قد تحسى كشكية .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٧٤ """""""""

قال أبو هفان : سمعت في بعض أصحاب السماد بالبصرة من يقول : اشتريت في ضيعتنا هذه سمادا بألف وستمائة دينار ما كان في جميعه جعس تأخذه العين . قال : دعا حجام كناسين . كانوا يسمون الحائك أخضر العين والأكار أخضر النواجذ . استحضر عبيد الله بن سليمان الوزير حجاما غريبا وقال : قد تبرمت بحجامي لكثرة فضوله ، فأحضروه شيخا ، فلما أخذ آلته قال عبيد الله : ' أعط القوس باريها ' فقال : أيها الوزير ، ما أول هذا البيت ؟ فقال عبيد الله : الله أكبر هربنا من **فضولي** ووقعنا فيما هو شر منه ، هات أنت ، ما أوله ؟ فقال الحجام : أنشدنا الرياشي بمكة : يا باري القوس بريا ليس يحسنه . . . أفسدت قوسك أعط القوس باريها قيل للحجام : قبيس ، لأن المسان التي لهم تحمل من جبل أبي قبيس : كان بالبصرة رئيس للكناسين يقال له : أبو إبراهيم ، فقال له محمد بن سليمان يوما : احمل مائة سفينة إلى النخل وخذ ثمنها مع المائة التي كنت حملتها فقال : تلك المائة كنت جعلتها طعمة للأمير . قال الأصمعي : شر الناس الدلالون ، لأن أول من دل إبليس ، حيث قال لآدم : ' هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ' . وقال غيره : نعم المعين على البيع والابتياع وعلى الألفة والاجتماع الدلالون . استأجر

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ١٤٣/٣

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٣١٣/٦

رجل حمالا ليحمل قفصا فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصل ينتفع بها ، فلما بلغ ثلث الطريق قال : هات الخصلة الأولى ؟ فقال : من قال لك." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٩٩ """"""""

اسكت يا فضولي ، ثم مال إلى أحد الخصمين فقال : يا هذا إلى كم هذه المنافسة مع الناس ، بهذا الرأس ؟ تسل عن قليل خطره ، إلى لعنة الله وحر سقره ، وهب أن هذا الرأس ليس ، وأنا لم نر هذا التيس .

قال عيسى بن هشام : فقمت من ذلك المكان خجلا ، ولبست الثياب وجلا ، وانسللت من الحمام عجلا ، وسببت الغلام بالعض والمص ، ودققته دق الجص ، وقلت لآخر : اذهب فأتني بحجام يحط عني هذا الثقل ، فجاءني برجل لطيف البنية ، مليح الحلية ، في صورة الدمية ، فارتحت إليه ، ودخل فقال : السلام عليك ، ومن أي بلد أنت ؟ فقلت : من قم ، فقال : حياك الله من أرض النعمة والرفاهة وبلد السنة والجماعة ، ولقد حضرت في شهر رمضان جامعها وقد أشعلت فيه المصابيح ،." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٢٥ """"""""

وترك الناس على الشط . أو حفظ ما يحاضر به فصيب يفيض وبحر لا يغيض . وليس بعريان كعود النبع من ثمر علوم الشرع نعم يا أبا القاسم إن سمعتهم يقولون ما أكثر فضلك فقل إن فضولي أكثر وما أغزر أدبك فقل إن قلة أدبي أغزر فلعمر الله ليس بأديب ولا أريب . كل مغرب وحافظ غريب . الأديب من أخذ نفسه بآداب الله فهذبها ونقح أخلاقه من العقد الشائنة فشذبها . والأريب الفاضل من لم يكن له أرب ولا وطر . إلا أن يكون له عند الله فضل وخطر . ما غناء من قوي علمه وعمله قد فتر . إن علما بلا عمل كقوس بلا وتر . حاملها حيران مرتبك في العماية لا يهتدي وإن كان ابن تقن إلى وجه الرماية متى نظر إلى الرماة موترين منبضين مسددين غير محبضين." (٣)

" (ولغلغ أسود مسك الهم ... وحبرج عن الرماة محمي)

(والضوع مع سبيطر سياح ...)

(وكم وكم قد صدت يوما مرزما ... أنزلته بالقوس من جو السما)

(جناحه يحكي طرازا معلما ... على بياض شية شبه الدما)

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ١٧٤/٧

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص/١٩٩

(٣) مقامات الزمخشري، ص/١٢٥

(كأنه ليل على صباح ...)

(حيث الصبا تشفع بالقبول ... وشملنا يجمع بالشمول)

(في مجلس ليس به فضولي ... وجاءنا التوقيع في الوصول)

(فسادكم يغفر بالصلاح ...)

(السيد الفائق في أفعاله ... والمزدري بالبدر في كماله)

(والمشتري حسن الثنا بماله ... لا أحد يحكيه في نواله)

(إلا أخوه معدن السماح ...)

(من ساد في الدنيا على الكتاب ... وصان سر الملك في حجاب)

(علي العالي على السحاب ... الباذل المال بلا حساب)

زاده الله نعما وأجرى له في الندى يدا وثبت له في العلى قدما بمنه وكرمه

وهذه نسخة رسالة في صيد البندق من إنشاء الشيخ شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سلمان الحلبي رحمه الله وهي ." (١)

" معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والأمراق والحلوى وغير ذلك ومنها أن يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه أن يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرنخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والحامي والمجنح والشطرنجي والمهندس والمتمني والفضولي

فأما المتشاوف فهو الذي يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه إلا متطلعا لناحية الباب يظن أن ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذي يستغرق في عد الزبادي ويعد على أصابعه ويشير إليها وينسى نفسه والجراف هو الذي يجعل اللقم في جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الاخر والرشاف هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلغ حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض أصابعه في الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي

---

(١) صبح الأعشى، ٣٢٧/١٤

يميل ذراعيه يمينه ويسرة لأخذ الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه والمخلل هو الذي يخلل أسنانه بأظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرنخ هو الذي يرنخ اللقمة في الأمراق فلا يبلغ الأولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذي يفتش علىاللحم بأصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذي يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذي ينقل الطعام من زبدية إلى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه من مؤاكليه والمجنح هو الذي يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له في المجلس فلا يشق عليه ." (١)

" الأكل والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتي قدامه ما يحب والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من يأكل **والفضولي** هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام إن كان قد بقي عندك في القدور شيء فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل

ومن الأضياف من يلذ له حديث إلا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فإذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم يدخل الدار فيبتدىء بالهندسة أولا فيقول كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا والإيوان كان ينبغي أن يكون من ههنا وينتقل من الهندسة إلى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها إلى موضع آخر وإن كان قد استحكم جوعه استعفي من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على اصدقاء صاحب الدعوة فيتألم عن انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم

ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك إلا أنه كان إذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس وإذا قيل له أين أكلت قال أكلت في بطني وإذا قيل له اين شربت قال شربت في فمي ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيئا فأذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله إذا لم يكن في بيته شيء موجود وليت شعري إذا كان لا يأكل فلأي شيء حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر إلى صديقه شيئا فيقول ما الذي قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالأكل ويشكو الجوع ويظن

(١) المستطرف، ٤٠٢/١

أن ذلك بسط مكارم أخلاق وإنما ذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغني لنا ." (١)

"وانتدبه الفرنسيون إلى التعليم في مدرسة اللغات الأجنبية في باريس وكان أحد أعضاء مؤتمر المستشرقين فيها سنة ١٨٩٧. ثم اختارته الدولة التركية كقنصلها في مدينة بوردو عدة سنين فأطلع على أحوال الفرنسويين وآدابهم. وألف وقتئذ كتابه علم الأدب عند الفرنج والعرب. ولما حد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ انتخبه مواطنوه كمبعوث القدس الشريف وقلد بين رصفائه وظيفة الرئيس الثاني لمجلس النواب وبعد انحلال المجلس عاد إلى القدس ثم كر راجعا إلى الآستانة وفيها توفي بالحمى التيفوئيدية وهو في الخمسين من عمره. وكان روحي الخالدي كاتبا بارعا له عدة مقالات ولمحاضرات ورسائل متفرقة نشرها في صحف مختلفة. ومن آثاره تاريخ الانقلاب العثماني وكتاب العالم الإسلامي. وله أيضا رحلة إلى الأندلس ذكر فيها بقايا آثار العرب لم تطبع.

وفي السنة التالية ١٩١٤ فقد المسلمون رجلين من نخبة علمائهم (السيد جمال الدين الـقاسمي) ثم (محي الدين الخياط) عرف الأول بتآليفه الدينية التي جعلته في مقدمة علماء دمشق المعدودين. وقد امتاز عن كثيرين منهم باستقلاله عن النوافل **والفضوليات** وخلوه من تضليل المحرفين والمهرفين. ولم يكتف بالوقوف على أسرار الشريعة بل درس أيضا العلوم العصرية وبها ظهر فضل طريقته العلمية. ومما قاله جرجي أفندي الحداد في رثائه:

نم يا جمال الدين غير مروع إن الزمان بما ابتغيت كفيل

فستعرف الأجيال فضلك في غد إن كان لم يعرفه هذا الجيل." (٢)

"دع عنك خفي حنين ... واحرص على حل ريقك

تعال نحتال فيما ... تهوى برفقي ورفقك

ثم صرت إليه. فأخبرني بقصته، فسعيت له بلطف الحيلة، وأعانني بحزم الرأي، إلى أن فاز بالظفر وأدرك البغية.

دير باشهرا

وهذا الدير على شاطىء دجلة، بين سامراء وبغداد. وهو دير حسن، عامر، نزه، كثير البساتين والكروم. وهو

---

(١) المستطرف، ٤٠٣/١

(٢) تاريخ الآداب العربية، ٤٠١/١

أحد المواضع المقصودة والديارات المشهورة. والمنحدرون من سر من رأى، والمصعدون إليها، ينزلونه. فمن جعله طريقا، بات فيه وأقام به إن طاب له. ومن قصده، أقام الأيام في ألذ عيش وأطيبه، وأحسن مكان وأنزهه ! ولأبي العيناء فيه، وكان نزله وأقام به أياما، واستطابه، وقال فيه:

نزلنا دير باشهرا ... على قسيسه، ظهرا

على دين أيسوع ... فما أفتى وما أسرا

فأولى من جميل الفع ... ل ما يستعبد الحرا

وسقانا وروانا ... من الصافية العذرا

وطاب الوقت في الدير ... فرابطنا به عشرا

وسقينا به الشمس ... وأخدمنا به البدرا

وأحيت لذة الكأس ... ولكن قتلت سكرا

ونلنا كل ما نهوا ... ه من لذاتنا، جهرا

تصابينا، وغنينا، ... وأرغمنا به الدهرا

فنكنا، وتهتكنا، ... ومثلي هتك السترا

وقد ساعدنا ربن ... طوعا منه، لا جبرا

جزاه الله عن خير ... به قابلنا خيرا

فقد أوسعته شكرا ... كما أوسعنا برا

وكان أبو العيناء من الطياب. وكان المتوكل يعجب بكلامه وسرعة جوابه ونوادره. وعمي على رأس أربعين سنة من عمره. ومما يدل على ذلك، قول أبي علي البصير، فيه:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر

لم أدر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر

وكان حسن الشعر، جيد العارضة، مليح الكتابة والترسل، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم. ونحن نذكر طرفا من أخباره، بمقدار لا يخرج إلى الاطالة، ولا يخل بالشرط.

قال المتوكل لأبي العيناء: ما أشد شيء مر عليك في ذهاب بصرك ؟ قال: فوات رؤيتك يا أمير المؤمنين، مع إجماع الناس على جمالك.

وقال له يوما: يا محمد، إلى كم تمدح الناس وتذمهم ؟ قال: ما أساءوا وأحسنوا.

وقال له عبيد الله بن سليمان: قد أمرنا لك بشيء في هذا الوقت، فخذه واعذر. قال: لا أفعل، أيها الوزير ! إذا كنت في النكبة تعتذر، وفي الدولة تعتذر، فتى لا تعتذر ؟ وسأل صاعد بن مخلد كتابا يكبه إلى مصر. فجعل يقول: إلى مصر يا أبا العيناء إلى مصر ؟ فقال: وما استبعادك، أعزك الله، لي مصر ؟ والله ! لما في صناديقك أبعد علي مما في مصر! وخل إلى أبي الصقر، فقرب مجلسه وأدناه، فقال: أيها الوزير ! تقريب الولي وحرمان العدو ! ودخل عليه يوما، فقال: ما أخرك عنا، أبا عبد الله ؟ قال: سرق حماري ! قال: وكيف سرق ؟ قال: لم أكن مع اللص، فأعرف كيف سرقه ! ثم جاءه بعد مدة، فقال: ما أخرك عنا أبا عبد الله ؟ فقال: من العواري وذلة المكاري. فأمر له بخمسين دينارا.

قال: دخل أبو العيناء يوما إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فلم يرفع طرفه إليه، ولا كلمه ! فقال: إن من حق نعمة الله عليك، لما أهلك له في الحال التي أنت عليها، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك خلقا، فإن من أوحش انقبض عن المسئلة، وبكثرة السؤال مع النجح يدوم السرور، وبقضاء الحاجات تدوم النعم. فقال له محمد: إني أعرفك فضوليا كثير الكلام. ترى، إن طول لسانك يمنع من تأديبك إذ زللت ؟ وأمر به إلى الحبس ! فكتب إليه أبو العيناء من الحبس: قد علمت أن الحبس لم يكن لذنب تقدم إليك، ولكن أحببت أن تريني قدرتك علي، لأن كل جديد يستلذ. ولا بأس أن ترينا من عفوك ما أريتنا من قدرتك ! فأمر بإطلاقه.

فلقيه بعد مدة طويلة على الطريق، فحبس محمد دابته وقال: ما أراك أبا عبد الله تواصلنا بحسب انجائنا لك ! فقال أبو العيناء: أما المعرفة بعنايتك فمتأكدة، ولكنني أحسب الذي جدد استبطاءك لي فراغ حبسك ممن فيه، فأردت أن تعمره بي !." (١)

"بيد أن هذا الوجه من الاشتقاق لا ينهض على منطق الأشياء، إذ ليس الربح، في هذه اللعبة، إلا شكليا، إذ الرابح لا يجوز له، في طقوسهم، أن يفيد من الأنصباء التي ربحها من الجذور والا اغتدى ذلك عليه عارا. فكأن هذه اللعبة، من الوجهة العملية، لا ربح فيها: فالياسر إما خاسر فيغرم ثمن الجزور، وإما لا خاسر ولا رابح!

وتشتمل هذه اللعبة على طقوس فولكلورية مثيرة، منها:

١-اجتماع الياسرين في صعيد واحد نفترض أنه ساحة من ساح الحي، وتجمهر الفقراء والمتفرجين والفضوليين من أطفال ورجال، وانتظار نتائج اللعبة الفولكلورية.

---

(١) الديارات للشابشتي، ص/١٨

٢-جمع الأقداح وإدخالها في ربابتها، والتحقق من عددها وصفاتها.
٣-التشاور والتفاوض حول اختيار العدل الذي يحكم بينهم.
٤-جمع الإبل التي تنحر في وجه من ساحة الحي والأطفال ينظرون ويعجبون، والفقراء ينتظرون ويأملون، والقرِمون إلى اللحم يتلمظون.

وواضح أن هذه اللعبة لم تكن تلعب لوجه الله، ولا رغبة في إطعام الفقراء والمساكين، ولا تطلعا إلى التخفيف من عناء المعوزين، ولكنها كانت قمارا كان أغنياء أهل الجاهلية يأتونه تباهيا وتفاخرا، وتعاليا وتكابرا، لا كرما ولا سخاء. وإلا فما كان يمنعهم من أن يتصدقوا على المحتاجين دون هذا التهويل الإعلامي حيث كانت أخبار هذه المجالس، حتما، تسير بذكرها الركبان، ويسمر بترددها الشيوخ والولدان.

وأيا كان الشأن، فذكر هذه اللعبة، بصرف النظر عن كونه يحتمل معتقدات أو لا يحتمل، فإنها تنهض على نحر الإبل والتفاخر بنحرها، للتقامر بلحومها.." (١)

"كالبيت فيه لزائريه يجتمع الأمن والمثوبة. وأنت الحجر الأسود لو يخلو لقبلته. بعض البلغاء، وهو البديع الهمذاني: حضرته كعبة الكرم، لا كعبة الحرم، ومشعر المحتاج، لا مشعر الحجاج، وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة. ليس عنده من آلة الحج إلا التلبية. أنفقت مالي وحج الجمل، لضياع السعي. فلان محرم لا للحج، إذا كان عريانا. لج فحج. بشر وفد الله بفوائد الدارين. لا تكن صرورة إلا عن ضرورة. من لم يحج فليمت يهوديا أو نصرانيا.

الجنة والنار

عجبت من أقوام يجرون إلى الجنة بالسلاسل. عليكم بالجنة، فإن النار في الكف. فلان من أهل الجنة، كناية عن البله. شرطة أهل الجنة، كناية عن المرد. ابن عباد:

قال لي : إن رقيبي ... سيء الخلق فداره

قلت: دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره

ما بال دارك حين تدخل جنة ... وبباب دارك منكر ونكير

دارك الجنة، وبوابها مالك الجحيم.

وما بي دخول النار بل طنز مارك

صن عرضك عن العار، ونفسك عن النار. ليث بن نصر بن سيار:

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٤٠٠

النار لا العار فكن سيدا ... فر من العار إلى النار

أبو تمام:

ما لي أرى القبة الخضراء مقفلة ... دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها

كأنها جنة الفردوس معرضة ... وليس لي عمل زاك فأدخلها

العامة: دخل فضولي فقال: الحطب رطب، كانه جاء من الجنة. للفائق الحسن:

قلت لأصحابي وقد مر بي ... أظنه فر من الجنه

ما يتمثل به من جميع الحيوانات

الفيل

على قدر جرم الفيل تبنى قوائمه

فلان قد ركب الفيل، وقال: لا تبصروني. لا تحسن اللثغة بالفيل.

إن كنت أشكو من يدق ... عن الشكاية في قريضي

فالفيل يضجر وهو أع ... ظم ما رأيت من البعوض

أبو الفتح البستي:

إن القذى يؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوض الفيلا

سمع البحتري قول الشاعر:

ومغن يتغنى ب ... طعام وشراب

فإذا رمنا سكوتا ... فبمال وثياب

فقال: مثله كمثل صاحب الفيل، يركب بدانق، وينزل بدرهم.

إذا تلاقى الفيول وازدحمت ... فكيف حال البعوض في الوسط

آخر:

أيا أقبح في المن ... ظر من دب على غول

ويا أسمج من طل ... عة شيطان على فيل

آخر:

وكنت كصانع للفيل قرطا ... يقومه على أذن تمور

الإبل

الذود إلى الذود إبل. اللقوح الربعية مال وطعام، يضرب لاجتماع خلتين محمودتين.

الفحل يحمي شوله معقولا

في المحاماة على الحرم. زاحم بعود أودع، أي لا تستعن إلا بأهل المعرفة. هان على الأملس ما لاقى الدبر، الأملس: السليم من الدبر أي هان على المعافي ما لاقى المبتلي، لمن لا يهتم بأمر صاحبه. القرم من الأفيل. لا يضر الحوار وطأة أمه. الفرزدق:

فإنا وسعدا كالحوار وأمه ... إذا وطئته لم يضره اعتمادها

ارغوا لها حوارها تحن، أي أعطه حاجته يسكت.

إنما يجزى الفتى ليس الجمل

عود يقلح، أي تنقى أسنانه، ويضرب للفاسد يستصلح. وقع القوم في سلا جمل، أي في محنة غدراء، لأن الجمل لا سلا له. استنوق الجمل، للعزيز يذل. سير السواني سفر لا ينقطع، للأمر الذي لا يكاد ينتهي. جاءوا على بكرة أبيهم، أي بأجمعهم. صبر من عود بدفيه الجلب، للمجرب. يركب الصعب من لا ذلول له. ضربه ضرب غرائب الإبل. كل أزب نفور، يضرب للجبان. رباعي الإبل لا يرتاع من الجرس. أغدة كغدة البعير، وموتا في بيت سلولية، في اجتماع خصلتين مكروهتين. إذا جرجر العود فزده ثقلا، في ترك المبالاة بالشاكي. إن الضجور قد تحلب العلبة، في استخراج القليل من البخيل. رض من المركب بالتعليق، في القناعة باليسير. استنت الفصال حتى القرعى، للمتكلف ما ليس من أهله. اختلط المرعى بالهمل، عند اختلاط الأمر. غلبت جلتها حواشيها، في الصغار تعلو الكبار. إن تسلم الجلة فالسخل هدر. لقوة صادفت قبيسا، في موافقة الشيئين. لكل أناس في بعيرهم خير. هما كركبتي البعير، للمتساوين.." [١]

"ولا يزال هناك شيء عجيب حيال خليط فطين جدا في هذا الرجل الثر ثروة مذهلة فياضة في معظم الأحيان بالخصاب العقلي، وبالتركيز على الشهادة، على وصمات العار، على المعاناة المجانية، على الحجاج اليائسين، على الموت، على الصحارى، على السجون، وعلى التنسك، وعلى الغياب والظلام. وإن إرث هوسمانز، عراب ماسينون، لهو أكثر من فضولي فيه. فجاك بيرك مصيب حين يقول أن ماسينون سار بالإستشراق إلى أقصى حد ممكن، وبنفس تلك الطريقة التي سار بها هيغل بالفلسفة إلى حدودها المطلقة، ومصيب أيضا حين يقترح أن تعلق ماسينون بإبراهيم كأول سامي يجب إعادة التوازن إليه بجرعة قوية من هيراقليطس(٢٩). إن ماسينون نفسه كان مدركا تماما لتحريره الاستشراق من القيود التي فرضها عليه رينان.

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ص/٧١

ولقد أشار مرات عديدة إلى تلك القيود وعبر عن معارضته لتزمت ذلك الرجل عرقيا وعقلانيا، حتى إنه اشتط في كراهيته له إلى الحد الذي جعله يصادق حفيد رينان، إيرنست بيشاري، المتصوف والمعادي للنزعة الرينانية.

***

إن رينان وماسينون هما قطبا التعارض في ميدان الاستشراق: فرينان هو الحكم الفيلولوجي والدارس الفرنسي الذي يمعن النظر في أديان ذات مرتبة دنيا كالإسلام نظرة طافحة بالاحتقار، والذي يتحدث استنادا لا على سلطة أوربي علمي وحسب بل وعلى سلطة مؤسسة ثقافية عظيمة، في حين أن ماسينون هو الضيف الفيلولوجي والمسافر الروحي الفذ الذي -إن استعملنا كلمات جيرارد مانلي هوبكينز في وصف دونس سكوتس- ما عنت على باله أدنى فكرة لنسل خيط من حبيكة الحضارة الإسلامية، والذي أنجبه الغرب.." (١)

"٣٠(سبق الأمهات والآباء ** قد أطلت العتاب جداوأكثر)٠(ت **فضولي** لكن لي شركاء ** من دعاني إلى الذي كان مني)٠(فهو مثلي جلية لامتراء ** أنا ذو القصد غير أني متى آ)٠٤ (نست جورا رأيت لي غلواء ** والحليم العليم من يحسن الإي)٠٥ (قاد بدءاويحسن الإطفاء ** والطبيب اللبيب من يتبع الدا)٠٦ (ء دواء يشفيه لا الداء داء ** وعسى قائل يقول بجهل)٠٧ (إنما يطلب الغنى والغناء ** ولهذين مطلب عند قوم)٠٨ (لست ألفى لرحلهم غشاء ** والغنى واسع بكفي جواد)٠٩ (يرزق الأغنياء والفقراء ** لي خمسون صاحبا لو سألت ال)١٠ (قوت فيهم ألفيتهم سمحاء ** أترى كل صاحب لي منهم)

". (٢)

"٤٧(هقويا يستضعف الضعفاء ** ولأهل العقول فيه رجاء) ٤٧(وعزاء يقاوم العزاء ** وتعلم متى حميت على عب) ٤٧(دك تلك المياه والأكلاء ** أن الله غير مرعاك مرعى) ٤٧٤ (يرتعيهوغير مائك ماء ** وتيقن متى جنيت على عبد) ٤٧٥ (ك ضيما وضيعة وعناء ** أن لله بالبرية لطفا) ٤٧٦ (سبق الأمهات والآباء ** قد أطلت العتاب جداوأكثر) ٤٧٧ (ت **فضولي** لكن لي شركاء ** من دعاني إلى

(١) العالم والنص والناقد، ٧١/٢

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/١٨٧

الذي كان مني) ٤٧٨ (فهو مثلي جلية لاامتراء ** أنا ذو القصد غير أني متى آ) ٤٧٩ (نست جورا رأيت لي غلواء ** والحليم العليم من يحسن الإي) ٤٨٠ (قاد بدءاويحسن الإطفاء ** والطبيب اللبيب من يتبع الدا)

---

(١) ".

"٦٧(وتيقن متى جنيت على عبد ** ك ضيما وضيعة وعناء) ٦٧(أن لله بالبرية لطفا ** سبق الأمهات والآباء) ٦٧(قد أطلت العتاب جداوأكثر ** ت فضولي لكن لي شركاء) ٦٧٤ (من دعاني إلى الذي كان مني ** فهو مثلي جلية لاامتراء) ٦٧٥ (أنا ذو القصد غير أني متى آ ** نست جورا رأيت لي غلواء) ٦٧٦ (والحليم العليم من يحسن الإي ** قاد بدءاويحسن الإطفاء) ٦٧٧ (والطبيب اللبيب من يتبع الدا ** ء دواء يشفيه لا الداء داء) ٦٧٨ (وعسى قائل يقول بجهل ** إنما يطلب الغنى والغناء) ٦٧٩ (ولهذين مطلب عند قوم ** لست ألفي لرحلهم غشاء) ٦٨٠ (والغنى واسع بكفي جواد ** يرزق الأغنياء والفقراء)

---

(٢) ".

"لو أراد الإله بالأرض خصبا ... ما تغنى من فوقه محمود

كلما أنبتت يسيرا من العش ... ب وغنى غطى عليه الجليد

وأنشدني أبو المعالي الكتبي، قال: أنشدني محمد ابن جارية القصار لنفسه، ونقلتهما من خطه:

وأدهم اللون ذي حجول ... قد عقدت صبحه بليله

كأنما البرق خاف منه ... فجاء متمسكا بذيله

وأتحفني الشيخ أبو المعالي الكتبي بكراسة من شعره بخطه، ورواه لي عنه. فمن ذلك قوله من قصيدة:

وصاحب سمته استرفاق مهلته ... بأن يدوم له رقي على الزمن

وما تحملت عبأ من قوارصه ... على وقوفي إلا ليحملني

وقوله في كتاب الديوان:

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٢٠٤

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٢٢٤

الى كم أصون لساني ولا ... تصونون أعراضكم بالجميل

وكم تحفظوني ولا تحفظو ... ن مكاني وأدرأ عنكم **فضولي**

فأقسم إن خف حلمي لكم ... وهمت عواطفه بالرحيل

لأنتصفن منكم للقريض ... وللآملين ولابن السبيل

وقوله يستهدي مدادا:

إليك اشتكائي يا ابن الكرا ... م شيب دواتي قبل الهرم

وشيب الدوي كما قد علم ... ت يعدل في القبح شيب اللمم

فمر بخضاب كفيل برد ... شباب ذوائبه المنعدم

وقوله في ذم الشيب:

أكره فودي أن يشيب وإن ... قال جهول في الشيب توقير

المرء بدر والشمس شيبته ... وما له في شعاعها نور

وقوله في تمني الشيب:

من خاف إن شاب هجران الحسان وإص ... حار النعيم ورفض الكأس والنغم

فلي الى الشيب شوق ما ينهنهه ... سعي للقياه من عمري على قدم

ما أرغد الدهر عيشي في الشباب ولا ... أحلى فأبكي شبابي حالة الهرم

وقوله من قصيدة:

راجع أناتك أيها الغريد ... هذا الفراق وما القلوب حديد

واستوقف العيس المراسل تدخر ... أجرا فما تعيي عليك البيد

إن كنت تخشى من ترفع خمسها ... ظمأ فمنهل مقلتي مورود

أو كان يعجلك المراد فإن لي ... نفسا يعيد الروض وهو صعيد

عل البخيلة أن تجود بنظرة ... ولقد يجود بمائه الجلمود

إن كان موعدنا برامة غاله ... خلف فهذا موعد وزرود

ومنها:

وأراكة نشرت ذوائبها الصبا ... حتى تعقد ظلها الممدود

ومنها في المدح:

سود الأثافي وهو عام أشهب ... بيض الأيادي والنوائب سود
وله:
الى كم أعلل بالباطل ... ولا أستقر على حاصل
وأدفع من باخل لا يدين ... بدين السماح الى باخل
يصون برض جبان الفؤاد ... حمى عرض بطل باسل
أحليه بالدرر المثمنات ... وأرجع بالأمل العاطل
ومنها:
إذا كان حظ الفتى صاعدا ... فلا بأس بالأدب النازل
أحذقا ورزقا لقد رمت ما ... يزيد على أمل الآمل
هما خلفان فهذا المقي ... م يعقب من ذلك الراحل
لقد ألجأتني صروف الزمان ... لحكم ضرورتها الحامل
الى معشر قد أتموا الرضا ... ع من ضرع لؤمهم الحافل
شيوخهم بعد لم يفطموا ... وعالمهم ضحكة الجاهل
صدور ولكن أعجازهم ... صدور لوخز القنا الذابل
وقوم رأوا أنني شاعر ... فلم يرفعوني عن الخامل
ولم يعلموا ما رواة القري ... ض عندي من آلة الكامل
وما غاية الفضل نظم القريض ... ولكنه نفثة الفاضل." (١)

" الباب الثانى فيما يضاف وينسب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وصى آدم

شهرة آدم

سفينة نوح

غراب نوح

عمر نوح

مقام إبراهيم

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣٩/١

نار إبراهيم

صحف إبراهيم

ضيف إبراهيم

تحفة إبراهيم

وعد إسماعيل

ناقة صالح

رؤيا يوسف

ذئب يوسف

قميص يوسف

حسن يوسف

سنو يوسف

ريح يوسف

عصا موسى

نار موسى

يد موسى

بقية قوم موسى

لطمة موسى

خليفة الخضر

صبر أيوب

حوت يونس

درع داود

نغمة داود

مزامير داود

خاتم سليمان

جن سليمان

سير سليمان

ملك سليمان

حمار عزير

طب عيسى

دم يحيى بن زكريا

بردة النبي

داء الأنبياء

فقر الأنبياء

الاستشهاد

٤١ – (وصى آدم) إذا كان الإنسان فضوليا داخلا فيما لا يعنيه متكلفا مالا يلزمه من التطفل على أمور الناس والتهالك في الاشتغال بها قيل فلان وصيي آدم وقد توضع هذه الصفة مكان المدح كما قال الشاعر

(وكأن آدم حين حم حمامه ... أوصاك وهو يجود بالحوباء)

(ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عيلة الأبناء)

ومنه أخذ ابو العيناء معنى كلامه في الحسن بن سهل وقد سأله عنه محمد ." [١]

"القبر وإلى جانبه رجل مليح، فضحك، فقال له الناسك: ما أعددت لهذه الحفرة يا فلان؟ قال: قذفك فيها الساعة.

ودخل أعرابي الحمام فضرط، فقال نبطي كان في الحمام: صبحان الله. فقال له الأعرابي: يا بن اللخناء، ضرطتي أفصح من تسبيحك.

وقيل لأعرابي: مالك لا تجاهد؟ قال: والله إني أبغض الموت على فراشي، فكيف أسعى إليه ركضا.

شهادة أعرابي:

واستشهد أعرابي على رجل وامرأة زنيا، فقيل له، أرأيته داخلا وخارجا كالمرود في المكحلة؟ فقال: والله لو كنت جلدة استها ما رأيت هذا.

وجد منبوذ بضفة العراق وعند رأسه مائة دينار، ورقعة مكتوب فيها: أنا ابن الشقي وابن الشقية، وابن القدح

---

(١) ثمار القلوب، ص/٣٨

والرطلية، وابن البغي والبغية، من كفلني فله هذه المية.

السندي بن شاهك والحجام:

السندي بن شاهك قال: بعث إلي المأمون بريدا وأنا بخراسان، فطويت المراحل حتى أتيت باب أمير المؤمنين وقد هاج بي الدم، فوجدته نائما، فأعلمت الحاجب بقصتي وقدمت إليه عذري وما هاج بي من الدم، وانصرفت إلى منزلي فقلت:

أحضروا إلي الحجام. قالوا: هو محموم. قلت: فهاتوا حجاما غيره ولا يكون **فضوليا**. فأتوني به، فما هو إلا أن دارت يده على وجهي حتى قال: جعلت فداك! هذا وجه لا أعرفه، فمن أنت؟ قلت: السندي بن شاهك. قال: ومن أين قدمت، فإني أرى أثر السفر عليك؟ قلت: من خراسان. قال: وأي شيء أقدمك؟ قلت:

وجه إلي أمير المؤمنين بريدا ... ولكن إذا فرغت فسأخبرك بالقصة على وجهها.

قال: وتعرفني بالمنازل والسكك التي جئت عليها؟ قلت: نعم.." [١]

"فقد رد حكم الله في خلق الغضب فمن استغضب ولم يغضب فهو حمار والأمر بالمعروف ركن الشريعة ولو عمر رجل سبعين سنة وتصدق بألف دينار ذهبا ثم تكلم بالبدعة فعمله هباء منثور ولا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب المؤمن في الله ويبغض المبتدع في الله قال النبي صلى الله عليه وسلم الحب في الله والبغض في الله فان قلت أسرار العباد بيد الله والخلق كلهم عباد الله خلق قوما للجنة وقوما للنار، يسر قوما للطاعة وقوما للمعصية فدع عباد الله الى الله فكل شاة برجلها ستناط ولا خصومة في دين محمد فمن أنت يا **فضولي** أنت وصي آدم أم أنت محتسب العالمين فأقول هذا سؤال يقرع باب الاباحة ويخطب الزندقة ويسد باب الامر والنهي وهو إعراض عن الله تعالى ورسوله لان الله أمر ونهى ووعد وأوعد وأحب وأبغض وقال جاهد الكفار والمنافقين

وقال لا تتولوا قوما غضب الله عليهم

وهذا الرسول ينبيء عن حكم الشرع والذي يقوله الأشعري أمر الله وأمر الله واجب يجب على العبد أن يحفظ أمر الله ولا ينظر الى حكمة الله والذي قال ان محمدا كان حرا لا خصومة في دينه فقد كذب لانه

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٦/٨

كان حر النفس، لم يكن حرا عن الخصومة إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وقد قتل خلائق جمة وقتل في يوم واحد من بني قريظة والنضير أربعمائة رجل ويدعى في التوراة نبي." (١)

"ذلك وأخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك فآمنا وصدقنا فمن أنت يا **فضولي** يا خبيث يا زنديق ان المسلمين تقلدوا قول النبي صلى الله عليه وسلم مع ألف معجزة ولا يقبلون قول رسولك الدهري أفلاطون اليوناني وجروين وسروين يقلدون من خرافاتك هذا بادر علم الله ومن قدر على إنشاء شيء لم يكن له ابتداء قدر على اعادته، والجنة والنار عرفنا حقيقتهما من قول الله سبحانه وقول رسوله المعصوم وأقام ألف معجزة حتى قبلنا قوله فأنت يا زنديق بأي دليل تقبل قوله. ومن فضائحهم يستحلون تحريف المصاحف والمساجد وقتل الذراري والصبيان فنقول يا ملاعين الانبياء ما قتلوا الناس ابتداء بل دعوهم الى الحجة والبرهان وأنتم تزعمون أنكم على ملة الانبياء وتفعلون أفعال المجانين فإن كان لكم حجة فأظهروها والا فالكلب خير منكم. ومن فضائحهم شتم الانبياء ولقب أحدهم نفسه رب العزة ويزعمون أن شريعة الرسول وحاش الله أن تتغير منسوخة بمحمد بن اسماعيل والله تعالى يقول وخاتم النبيين وقال صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي، وختم الشيء آخره الكيس إذا ختم لا يخرج منه شيء وقال النسابون ان محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له فكم أحصى ولا أخير له ولقد صنفت كتابا يا معشر الوزراء في الرد عليهم قريبا من خمسين طباقة كاغد فلنقتصر ههنا فلا كلام معهم إلا المشرفي الجام." (٢)

"(الباب السادس عشر)

وصي آدم، **للفضولي** فيما لا يعنيه، وخلف آدم في ولده، سفينة نوح للشيء الجامع لأنه جمع فيها من كل زوجين اثنين، غراب نوح للرسول الذي لا يعود:

وندمان بعثت به رسولا ... فكان بحاجتي كغراب نوح

مقام ابراهيم لكل مقام شريف، نار ابراهيم في البرد والسلامة، ضيف ابراهيم للضيف الكريم لأنه قام عليهم بنفسه، وعد اسماعيل للصدق لأن الله تعالى أثنى عليه بصدق الوعد، ذنب يوسف لمن يرمى بذنب جناه غيره، قميص يوسف أجرى الله أمره على ثلاثة أقمصة قميصه الممتزج بالدم والقميص المخروق والقميص الثالث قميص البشارة، ريح يوسف للشيء السار، نار موسى للشيء الهين تطلب العلى فتجد بسببه العلق النفيس، يد موسى للبياض، بقية قوم موسى في الملال وقلة الصبر خليفة الخضر للجوال في الأسفار،

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخوارزمي، أبو بكر ص/٩٩

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخوارزمي، أبو بكر ص/١١٠

حوت يونس للأكول، مزامير داود للطيب وكان له مزامير يزمر بها فيبكي الأنس والجن، سير سليمان في السرعة، حمار عزير للمركوب ينتعش لأن الله أحياه مائة سنة، داء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الفالج واللقوة (فصل) في أسماء من ولد من." (١)

"[٣٩٧]- لو بلغ رأسه السماء ما زاد.

[٣٩٨]- ليت الفجل يهضم نفسه.

٣٩٩- عجوز منتقبة.

٤٠٠- قفل على خربة.

٤٠١- الصنيعة عنده أضيع من حلي على زنجية.

٤٠٢- وأضيع من سراج في شمس.

٤٠٣- إنه ليدود كبدي.

٤٠٤- ما فيه شيء أرق من كعبه.

[٤٠٥]- إنه وصي آدم، وإنه ليذكر نوحا.

٤٠٦- فلان مشى على عيني.

[٤٠٧]- هو أهون علي من عفطة عنز.

---

[٣٩٧]- السابق ٢: ٢٥٨.

[٣٩٨]- السابق ٢: ٢٥٧.

[٤٠٥]- في منتخبات النهاية في الكناية: ٢٠١ «فإذا كان فضوليا قيل: هو وصي آدم» .

[٤٠٧]- ينظر نهج البلاغة ١: ٢٩، وروايته في جمهرة الأمثال ٢: ٢٩١ « ... من ضرطة ... » .." (٢)

"ناظر في أمورهم، فأين أنا؟ وأي شغل شغلي؟

قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل سوقي، لا أعرف غير الغزل والقطن ومخاطبة النساء والعامة، وإنما اجتاز بنا رجل بايعنا شيئا كان معه، فوجدنا ميزانه ناقصا، فقلت هذا الكلام، وعنيت به المحتسب لا غيره.

[فقال له المعتضد: الله، إنك أردت به المحتسب؟] «١» .

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخوارزمي، أبو بكر ص/٤٨٤

(٢) الأمثال المولدة الخوارزمي، أبو بكر ص/١٤٣

فقال: والله ما عنيت غيره، وأنا تائب أن أتكلم بما يشبه هذا.

فقال: يحضر المحتسب «٢» ، ويبالغ في الإنكار عليه لم غفل عن إنكار مثل هذا، ويؤمر بتعييره «٣» ، وتتبع «٤» الطوافين، وأهل الأسواق، والتعيير عليهم.

وقال للشيخ: انصرف، لا بأس عليك، ودخل، فضحك، وانبسط، وعاد يشرب.

فلما حمل علي النبيذ، قلت له: يا مولاي، تعرف فضولي، فتأذن لي في أن أقول؟

فقال: قل.

قلت: كان مولانا في أطيب شرب، وأتم سرور، فتركه، وتشاغل عنه بخطاب كلب من السوقة «٥» ، كان يكفيه أن يصيح عليه راجل من رجالة صاحب الربع «٦» صيحة، ولم يقنع مولانا في أمره بالوصول إلى حضرته،." (١)

"ثم تلاكما حتى عييا، وتحاكما لما بقيا، فأتيا صاحب الحمام، فقال الأول: أنا صاحب هذا الرأس؛ لأني لطخت جبينه، ووضعت عليه طينه، وقال الثاني: بل أنا مالكه؛ لأنشي دلكت حامله، وغمزت مفاصله، فقال الحمامي: ائتوني بصاحب الرأس أسأله، ألك هذا الرأس أم له، فأتياني وقالا: لنا عندك شهادة فتجشم، فقمت وأتيت، شئت أم أبيت، فقال الحمامي: يا رجل لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق، وقل لي: هذا الرأس لأيهما، فقلت: يا عافاك الله هذا رأسي، قد صحبني في الطريق، وطاف معي بالبيت العتيق، وما شككت أنه لي، فقال لي: اسكت يا فضولي، ثم مال إلى أحد الخصمين فقال: يا هذا." (٢)

"قال أحمد بن يزيد حدثني أب عن عمه حبيب بن المهلب قال: ما رأيت رجلا قط مستلئما في حرب إلا كان عندي رجلين، وما رأيت رجلين حاسرين في حرب قط إلا كانا عندي بمنزلة رجل واحد.

قال علي عليه السلام: الحرص مقدمة الكون.

قيل لصوفي: لم لا تعمل عملا؟ قال: إذا كان مستعملي قد أراحني فما وجه فضولي وتكلفي؟ شاعر: الطويل

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت ... صلات ذوي القربى له أن تنكرا

فسر في بلاد الله وألتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٣٢٧/١

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٢٢٧

قيل لأعرابي: أيسرك أن تكون أحمق وأن لك مائة ألف درهم؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: لأن حمقة واحدة تأتي على مائة ألف درهم وأبقى بعدها أحمق.

قيل لصوفي: على من تعول في معاشك؟ قال: على لطف من." (١)

"قال قال أحمد القلوب جوالة إما أن تجول حول العرش وإما أن تجول حول الحش

قال وقال أحمد في الحرية تمام العبودية وفي تحقيق العبودية تمام الحرية

قال وقال أحمد لا تتم معاشرة متضادين في دين أو في دنيا

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي قال سمعت محمد بن الفضل يقول استقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم فقال له الرجل أليس أنتم الزهاد في الدنيا ما تصنع بهذه الدراهم قال أشتري بها لقمة فأضعها في فم مؤمن ولا أجترئ أن أسأل ثوابه من الله تعالى قال لم قال لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة لو أخذتها فطلبت بها شيئا ما الذي تعطى بها والدنيا كلها لها هذا القدر

سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد الترمذي يقول قال أحمد بن خضرويه الصبر زاد المضطرين والرضا درجة العارفين

قال وقال أحمد من صبر على صبره فهو الصابر لا من صبر وشكا

وبإسناده قال أحمد كنت في طريق مكة فوقعت رجلي في شكال فكنت أمشي فرسخين وهو متعلق بها فرآني بعض الناس فنزعه عني ثم دفعني فقدمت بسطام فابتدأني أبو يزيد فقال الحال الذي ورد عليك في طريق مكة كيف كان حكمك مع الله فيها قلت أردت ألا يكون لي في اختياره اختيار فقال لي يا **فضولي** قد اخترت كل شيء حيث كانت لك إرادة

قال وقال أحمد من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء التواضع وحسن الأدب وسخاوة النفس." (٢)

"نحويات عروضيات أدبيات خطاطيات، تدل على ذلك لمن جهلهن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن وغريبه ذلك من فنونه، وعلوم العرب من الأنواء والأعاريض والأنحاء، وكتب المنطق والهندسة وسائر أنواع الفلسفة ... " ثم يتبجح مفتخرا بعرض تجربته ويقول: ولا تطمع أن تظفر بعالم مثلي أو متفرغ **فضولي** شبهي ".]

[وقد توقفت طويلا عند هذا الفصل وتشككت في أن يكون الشخصان واحدان وإنما حملني على ذلك

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٧٥/٤

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٩٦

مبلغ ما يوليه ابن حزم لأستاذه من تقدير علمي وأخلاقي يبعد عنه صفة التحيل وركوب الكذب ومقالة الزور.
ولكن بعد التأمل لاح لي وجه آخر، فهذا هو ابن الكتاني المذحجي أستاذ ابن حزم، وقد نقلت عنه حكاية من تعليقات ابن حزم نفسه تدل على اتجاره بالجواري، إذ تصوره ذات يوم في منطقة الشمال في مجلس العلجة بنت شانجة ملك البشكنس، وفي المجلس فتيات مسلمات أسيرات منهن ابنة الشاعر سليمان بن مهران السرقسطي، وأنها غنت بأبيات وبكت فلما سئلت عن سبب بكائها ذكرت أن الأبيات لأبيها (١) وقد ساء ابن بسام أن أبي الكتاني لم يمتعض لتلك الجارية، بعدما عرف نسبتها، ولم يحاول افتكاكها من الأسر، وأنه اكتفى بإظهار جزعه على حالها] .
[وهذا هو سياق ما أورده ابن بسام مجملا، وهو يدل على أن ابن الكتاني المتطبب كان يحترف تجارة الرقيق، وقد تبدو هذه المسألة في نظرنا اليوم مخلة بمكانة من يزاولها، خصوصا وأن النخاسين أصحاب القيان لم يكونوا يرتفعون عن الشبهات في تسهيل " المودات "؛ وقد سكت ابن حزم عن حرفة أستاذه لسبب لاندريه، ولكن لا أظن أن سكوته كان استنكارا لذكر مثل تلك الحرفة، بل لعله؟ وإن سكت عنها؟ كان يعدها من مزاياه، إذ كان يقدم للمجتمع الأندلسي فتيات " مثقفات "؛ وكان جزء من تلك الثقافة هو ما عرف به ابن الكتاني من مهارة في المنطق والفلسفة وسائر علوم الأوائل] .
[وما وصفه بالتحيل والكذب وقول الزور، فإنه صادر عن ابن حيان،

---

(١) المصدر نفسه: ٣١٨ – ٣١٩.." [١]

"تجارى قوم في مجلس لهم حديث الكمال في الرجال، ودخول النقصان عليهم للآفات، فقال بعضهم: من كان أعور فهو نصف رجل، ومن لن يحسن السباحة فهو نصف رجل، ومن لم يكن متزوجا فهو نصف رجل. وكان فيهم أعور، ولم يكن يحسن السباحة ولا متزوجا، فالتفت إلى ذلك الإنسان وقال له: إن كان علي ما تقول فأنا أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء. قال بعضهم: مررت بمنجم قد صلب، فقلت له: هل رأيت في نجمك وحكمك هذا؟ قال: كنت رأيت رفعة، ولكن لم اعلم أنها فوق خشبة. قال بعضهم: نزلت بعض القرى، وخرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر، وملأ الجرة وانصرف راجعا، فقلت له: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عليك سواء، فما معنى هذا السراج؟ قال: يا فضولي، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضئ به،

---

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس محمد بن الكتاني الطبيب ص/١٣

فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي ويكسر جرتي. صدم اعور في بعض الأسواق امرأة، فالتفتت إليه وقالت: أعمى الله بصرك، فقال: يا ستي، قد استجاب الله نصف دعائك. دخل إلى بعض العور رجل من جيرانه – ومعه حمار – فقال: أيها الأستاذ اشتريت هذا الحمار فأحببت أن أتبرك بنظرك إليه فكم يساوي عندك؟ فتأمله، ثم قال: يساوي خمسين درهما. وكان الرجل قد اشتراه بمائة درهم، فقال: لا إله إلا الله ما أخطأت بفلس، فإني اشتريته بمائة، وأنت رأيت نصفه. غنت مغنية بصوت فيه " الله يعلم. . " فكررته مرارا، فقال ابن مكرم: أنك بغيضة. سئل رجل عن سن امرأته – وكانت قديمة الصحبة له – فقال: خذوا عيار رأسها من لحيتي. قال أبو حنيفة لشيطان الطاق: مات إمامك – يعني جعفر الصادق عليه السلام – فقال له: لكن إمامك لا يموت إلى يوم الدين. يعني، إبليس.." (١)

"ودخل على محمد بن عبد الملك، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه؛ فقال: إن من حق نعمه أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك، فإن من أوحش انقبض عن المسألة، وبكثرة المسألة مع النجح يدوم السرور. فقال له محمد: أما إني أعرفك فضوليا كثير الكلام وأمر به إلى الحبس؛ فكتب إليه: قد علمت أن الحبس لم يكن من جرم تقدم إليك، ولكن أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي؛ لأن كل جديد يستلذ، ولا بأس أن ترينا من عفوك حسب ما أريتنا من قدرتك. فأمر بإطلاقه، ثم لقيه بعد أيام، فقال: يا أبا العيناء، ما تزورنا حسب نيتنا فيك؟ . فقال: أما نيتك فمتأكدة، ولكن أرى أن الذي جدد الاستبطاء فراغ حبسك، فأحببت أن تشغله بي. واعترضه يوما أحمد بن سعيد، فسلم عليه؛ فقال أبو العيناء: من أنت؟ قال: أحمد بن سعيد؛ فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلي من أسفل، فماله ينحدر علي من علو؟ قال: لأني راكب. قال: لا إله إلا الله. دعهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغيف لأعضك بما تكره. وقال يوما لعبيد الله بن سليمان: إلى كم يرفعني الوزير، ولا يرفع بي رأسا؟ . وقال له يوما: كيف حالك؟ فقال: أنت الحال، فإذا صلحت صلحت. وقربه يوما؛ فقال: تقريب الولي وحرومان العدو. وقيل له: أتشرب النبيذ؟ فقال: " ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ". وقال يوما لعبيد الله بن يحيى: أيها الوزير، قد برح بي حجابك؛ فقال له: ارفق. فقال: لو رفق بي فعلك رفق بك قولي. وقال يوما لعيسى بن فرخانشاه، وقد بالغ أحمد بن المدبر: أتبالغه، وشطر اسمك عني، وما بقي فثلثا مسي؟ . وقيل: لا

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٥٣/٢

تعجل، فإن العجلة من الشيطان؛ فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام: " وعجلت إليك رب لترضى ".." (١)

"الباب الثاني عشر أمثال العامة

باع كرمه واشترى معصرة. باع الدواء واشترى رمكة. إن كان معلم وإلا فدحرج. من صير نفسه نخالة، أكلته الدجاج. اصبر من خلد الحداد. أنذل من فأر السجن. من أنفق ولم يحسب، خرب بيته، ولم يعلم. المنخل جديد سبعة أيام. ينيك المولى، ويفرح الخصي. **الفضولي** دخل النار. ما فرحنا بإبليس، فكيف بأولاده؟ ! ما رضياه نديم، صار زوج أم. اسكت بخرا في حق. كأنه حر قد تحسى كشكية.." (٢)

"قال أبو هفان: سمعت في بعض أصحاب السماد بالبصرة من يقول: اشتريت في ضيعتنا هذه سمادا بألف وستمائة دينار ما كان في جميعه جعس تأخذه العين. قال: دعا حجام كناسين. كانوا يسمون الحائك أخضر العين والأكار أخضر النواجذ. استحضر عبيد الله بن سليمان الوزير حجاما غريبا وقال: قد تبرمت بحجامي لكثرة فضوله، فأحضروه شيخا، فلما أخذ آلته قال عبيد الله: " أعط القوس باريها " فقال: أيها الوزير، ما أول هذا البيت؟ فقال عبيد الله: الله أكبر! هربنا من **فضولي** ووقعنا فيما هو شر منه، هات أنت، ما أوله؟ فقال الحجام: أنشدنا الرياشي بمكة: يا باري القوس بريا ليس يحسنه ... أفسدت قوسك أعط القوس باريها قيل للحجام: قبيس، لأن المسان التي لهم تحمل من جبل أبي قبيس: كان بالبصرة رئيس للكناسين يقال له: أبو إبراهيم، فقال له محمد بن سليمان يوما: احمل مائة سفينة إلى النخل وخذ ثمنها مع المائة التي كنت حملته، فقال: تلك المائة كنت جعلتها طعمة للأمير. قال الأصمعي: شر الناس الدلالون، لأن أول من دل إبليس، حيث قال لآدم: " هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ". وقال غيره: نعم المعين على البيع والابتياع وعلى الألفة والاجتماع الدلالون. استأجر رجل حمالا ليحمل قفصا فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصل ينتفع بها، فلما بلغ ثلث الطريق قال: هات الخصلة الأولى؟ فقال: من قال لك." (٣)

"الباب الثاني فيما يضاف وينسب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٤٣/٣

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣١٣/٦

(٣) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٧٤/٧

وصى آدم

شهرة آدم

سفينة نوح

غراب نوح

عمر نوح

مقام إبراهيم

نار إبراهيم

صحف إبراهيم

ضيف إبراهيم

تحفة إبراهيم

وعد إسماعيل

ناقة صالح

رؤيا يوسف

ذئب يوسف

قميص يوسف

حسن يوسف

سنو يوسف

ريح يوسف

عصا موسى

نار موسى

يد موسى

بقية قوم موسى

لطمة موسى

خليفة الخضر

صبر أيوب

حوت يونس

درع داود

نغمة داود

مزامير داود

خاتم سليمان

جن سليمان

سير سليمان

ملك سليمان

حمار عزير

طب عيسى

دم يحيى بن زكريا

بردة النبي صلى الله عليه وسلم

داء الأنبياء

فقر الأنبياء

الاستشهاد

٤ – (وصى آدم) إذا كان الإنسان فضوليا داخلا فيما لا يعنيه متكلفا مالا يلزمه من التطفل على أمور الناس والتهالك في الاشتغال بها قيل فلان وصيى آدم وقد توضع هذه الصفة مكان المدح كما قال الشاعر

(وكأن آدم حين حم حمامه ... أوصاك وهو يجود بالحوباء)

(ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عيلة الأبناء)

ومنه أخذ ابو العيناء معنى كلامه في الحسن بن سهل وقد سأله عنه محمد." (١)

"ولما أراد للمتوكل أبا العيناء على منادمته فال له يا أمير المؤمنين أنا محجوب والمحجوب يجور قصده ويقبل على من لا يقبل عليه وكل من في مجلسك يخدم وأتا أحتاج أن أخدم فيه " ويكنى " عن الاعور بالممتع وعن الذي في عينه نقطة بياض بالكوكبي والمكوكب وعمن بوجهه أثر بالمشطب " وما "

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٣٨

أحسن ما كنى عوف بن محلم عن الصمم بقوله

ان الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

" فصل في البخل " يكنى عن البخيل بالمقتصد ويقال فلان نظيف المطبخ وفلان نقي القدر قل الشاعر

بيض المطابخ لا تشكو إمائهم ... طبخ القدور ولا غسل المناديل

" وقال آخر

مطبخ داود في نظافته ... أشبه شيء بعرش بلقيس

ثياب طباخه إذا اتسخت ... أنقى بياضا الفراطيس

أبو نواس

رأيت قدور الناس سودا من الصلى ... وقدر الرقاشبين بيضاء كالبدر

وقال الجماز لرجل رحم الله أباك فقد كلن نظيف منديل الخوان قال الاستاذ الطبري

فتى محتصر الم أكو ... ل والمشروب والعطر

نقى الخبز والقص ... عة والمنديل والقدر

قليل النمل والذبان ... والجرذان والهر

وفي ذكر قلة الجرذان تقول اعرابية لبعض الخلفاء أشكو قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية لاكثرن جرذانك وأمر لها بطعام كثير ومال ومن نادر الكناية عن البخل بالطعام قول حمير وقد سئل عمن يحضر مائدة محمد بن يحيى فقال أكرم الخلق والأمهم يعنى الملائكة والذباب وليس بالبارد قول حماد عجرد

زرت أمرأ في بيته ما جدا ... له حياء وله خير

يكره أن يتخم أضيافه ... ان اذى التخمة محذور

ويشتهي أن يؤجروا عنده ... بالصوم والصائم مأجور

ومن ذلك قول الآخر

على أبوابه أي وجه ... قصدت له أخو مر بن اد

ومما يستحسن في هذا الباب قول ابن طبا طبا العلوي

وكاتب حاسب ان رمت ملتمسا ... ما في يديه إذا ما رحت مجتديه

أضاف تسعين تقفوها ثلاثها ... إلى ثلاثة آلاف وتسعمايه

وقوله في هذه الكناية بعينها

ان رمت ما في يديك مجتديا ... أوجئت أشكو اليك ضيق يدي

عقدت لي باليسار أربعة ... مقبوضة سبعة من العدد

" فصل في الكناية " عن جملة من المعائب والأخلاق المذمومة إذا كان الرجل جاهلا قيل فلان من المستريحين لقولهم استاح من لا عقل له " فاذا كان " سليم الناحية ابله قيل فلان من أهل الجنة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أكثر أهل الجنة البله " فاذا كان " أحمق قالوا نعته لا ينصرف وأنشدني " أبو الحسن الشهرزوري قال أنشدتي أبو الحسن اللجام لنفسه في ابن مطران الشاشي لما صرف عن بريد الترمذية

قد صرفنا وكل من ... قبلنا فهو منصرف

وصرفنا بشاعر ... نعته ليس ينصرف

فاذا كان فضوليا داخلا فيما لا يعنيه متكلفا مالا يلزمه قالوا هو وصي آدم وقد توضع هذه الصفة موضع المدح كما قال الشاعر

وكات آدم حين حم حمامه ... وصاك وهو يجود بالحوباء

ببليه أن ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم غلة الابناء

فاذا كان وقحا قالوا هناك درقة وحدقة ووجنة مطرقة " وهذه " اللفظة للصاحب من كتاب له إلى ابي العباس الضبي في ذكر ابي الحسن الجوهري الشاعر فاذا كان قليل الدماغ قالوا فلان فارغ الغرفة قال الشاعر

صاحبنا احواله عاليه ... لكنما غرفته خاليه

فاذا كان كثير الطيش قالوا احضر معه وتدا " فاذا "كان كذوبا قالوا الفاختة عنده ابو ذر وهذه اللفظة عذبة من ملح الصاحب ولم اسمع في معناها احسن وابلغ منها لان الفاخته يضرب بها المثل قال الشاعر

اكذب من فاخته ... تقول وسط الكرب

والطلع لم يبدلها ... هذا اوان الرطب

وابو ذر الغفاري من يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء وما اقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر " ومن "كناياتهم عن الكذب فلان يلطم عين مهران " ومهران " رجل يضرب به المثل في الكذب " فاذا "كان ملولا قيل فلان من بقية قوم موسى كما قال." (١)

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٧٣

"(لا تنكري صدي ولا إعراضي ... ليس المقل عن الزمان براضي) // الكامل //

وهو القائل

(قلت للدهر من فضولي قولا ... وحداني عليه طيب الأماني)

(أتراني بخلعة أنا أحيا ... ذات يوم وفاخر الحملان)

(قال هيهات أنت والنحس تربان ... وقد كنتما رضيعي لبان)

(لا تؤمل ركوب متن سوى النعش ولا خلعة سوى الأكفان ...) // الخفيف //

وله من أبيات

(تكلفني التصبر والتسلي ... وهل يسطاع إلا المستطاع)

(وقالوا قسمة نزلت بعدل ... فقلنا ليته جور مشاع) // الوافر //

وقال أيضا

(تعيب الغانيات علي شيبي ... وتخفي شيبها عني المقانع)

(وقال لي العذول تعز عنها ... وإلا فانظرن ما أنت صانع)

(فقلت له متى قدمت خيرا ... وأيرا بعده ليست تمانع) // الوافر //

وله من كلمة

(هيهات نجمي آفل شارد ... ولى فما يخرق أبراجه)

(أظل أخفي حججا أدبرت ... والسبع والسبعون محتاجه)

(وشر أيام الفتى آخر ... فيه يسمى للشقاء خواجه) // السريع //

وله." (١)

"ليث بن نصر بن سيار:

النار لا العار فكن سيدا ... فر من العار إلى النار

أبو تمام:

ما لي أرى القبة الخضراء مقفلة ... دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها

كأنها جنة الفردوس معرضة ... وليس لي عمل زاك فأدخلها

العامة: دخل فضولي فقال: الحطب رطب، كانه جاء من الجنة. للفائق الحسن:

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٥١/٣

قلت لأصحابي وقد مر بي ... أظنه فر من الجنه

ما يتمثل به من جميع الحيوانات

الفيل

على قدر جرم الفيل تبنى قوائمه

فلان قد ركب الفيل، وقال: لا تبصروني. لا تحسن اللثغة بالفيل.

إن كنت أشكو من يدق ... عن الشكاية في قريضي." (١)

"فصرت كالسيف حامدا يده ... ما يحمد السيف كل من حمله

يقول: لما علمت بفصاحته، تأنقت في شعري، وهذبت ألفاظه، فصارت فصاحته سببا إلى تجويد شعري، كما كان جودة ضربه وقوة ساعده سببا لإظهار حد سيفه، فصار سيفه حامدا له حيث أظهر جودته، ثم قال: ما يحمد السيف كل من حمله يعني: أن السيف إذا كان في يد من لا يحسن الضرب نبا إن كان ماضيا، وإنما يعمل في يد الحاذق بتصريفه فلا يحمد السيف دون من لا يحسن الضرب به.

وجلس معه ليلة على الشراب فنهض لينصرف وقت انصرافه، فسأله الجلوس فجلس، فخلع عليه ثيابا نفيسة، ثم نهض لينصرف فسأله الجلوس فجلس، فأمر له بثمن جارية فحمل إليه، ونهض لينصرف، فسأله الجلوس بقود مهرة إليه، فقال له ابن الطوسي الكاتب: لا تبرحن الليلة يا أبا الطيب فأجابه:

أعن إذني تهب الريح رهوا ... ويسري كلما شئت الغمام؟!

ولكن الغمام له طباع ... تبجسه بها وكذا الكرام

يقول جوابا لذلك: لا أنصرف استزادة مني لهباته، ليس عن أمري ولا كان طلبي من الرجل، إن ما ترى من جود الأمير ورجوليته، كرم طبعه يدعو إليه. كما أن الغمام ليسح ماؤه لطبعه، دون أن يبعثه عليه باعث، ولا يقدر أحد أن يحبس مطره، فكذلك هذا الرجل لا يمكنه أن يمتنع عن العطاء، لأن الله تعالى فطره على ذلك وروى: تبجسه بها ولها والهاء: للطباع وفي تبجسه للغمام.

وأراد أبو العشائر سفرا فقال أبو الطيب يودعه:

الناس ما لم يروك أشباه ... والدهر لفظ وأنت معناه

المصراع الأول له معنيان أحدهما: أن الناس إذا لم تكن فيهم متساوون ليس لواحد منهم فضل على صاحبه،

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٣٣٢

فإذا حضرتهم فضلتهم فتفاوتوا بك، فصاروا **المفضولين** وأنت الأفضل. والثاني: أن الناس ما لم يروك فهم سواء، فإذا رأوك تفاضلوا في أقدارهم، فكل من رآك أكثر فهو أشرف، وكل من قربت منزلته منك فهو أفضل.

يريد: أن الناس إذا رأوه تعلموا أسباب الرياسة منه، واهتدوا بأفعاله إلى المكارم، فمن صحبه أكثر كان إلى السيادة أقرب.

وأما المصراع الثاني فمعناه: أن الأفعال التي تنسب إلى الدهر من إعزاز وإذلال، وإحسان وإساءة، إنما هي عبارة عنه وإنها تنسب إليه بالقول، وإلا في الحقيقة فأنت فاعلها والمعني بها، لأنك تفعل ذلك دون الدهر.

والجود عين وأنت ناظرها ... والبأس باع وفيك يمناه

يقول: قوام الجود بك، كما أن العين بناظرها. والبأس: وهي الشجاعة، قوامها بك، ووجودها بسببك، كما أن الباع بطشه وفضله في اليد اليمنى.

أفدي الذي كل مأزق حرج ... أغبر فرسانه تحاماه

أعلى قناة الحسين أوسطها ... فيه وأعلى الكمي رجلاه

الحرج: الضيق. المأزق: المضيق في الحرب. والأغبر: المظلم الذي عليه غبرة. وتحاماه: تجنبه. والهاء في فيه ترجع إلى المأزق. وقيل: إلى الذي وقوله: كل مأزق مبتدأ، وأغبر في موضع جر، صفة لمأزق، وإن شئت رفعته فيكون صفة لكل، وفرسان مبتدأ آخر، وتحاماه خبره، وهذه الجملة صفة لمأزق، ولكل. والهاء في فرسانه تعود إلى المأزق وكذلك في فيه.

يقول: أفدي الفارس الذي إذا حصل في مضيق أغبره. يحذر منه الفرسان ويتركونه، ويكون أعلى رمحه في ذلك المأزق أوسطه؛ لأنه يكثره بكثرة الطعن حتى يصير وسطه أعلاه، أو يثنيه إذا طعن فارسا فيصير أعلاه أسفله وكذلك ينكس الفارس الشجاع عن فرسه، فيكون رجلاه فوقه وأعلاه، أو ينتفخ بعد قتله إياه وترتفع رجلاه فوقه. وما بعد قوله: الذي إلى آخره، داخل في صفة الذي وموضعه نصب بأفدي، أي أفدي الذي هذه صفته.

تنشد أثوابنا مدائحه ... بألسن ما لهن أفواه

يقول: إن أثوابنا تنشد مدائحه، من حي إن الناس إذا رأوها علينا علموا أنها من خلعه، حتى لو لم نشكر له لأعلنت هذه الثياب بمدحه.

والثاني: هو أن لأثوابنا التي خلعها علينا صوتا لجدتها، فهذا الصوت كإنشادها مدائحه. ذكره ابن جنى.

إذا مررنا على الأصم بها ... أغنته عن مسمعيه عيناه

هذا يؤكد المعنى الذي بدأنا بذكره. يعني أن هذه الثياب إذا مررنا بها على الأصم، فمتى رآها علم أنها من خلعه، فأغنته عيناه عن أذنيه.

سبحان من خار للكواكب بال ... بعد ولو نلن كن جدواه

نلن: أي أدركن وهو فعل ما لم يسم فاعله.." (١)

"شرب ابن حمدون النديم مع المتوكل وبحضرته غلام مليح الوجه؛ فتأمله ابن حمدون تأملا شديدا، وقد حمل الشراب إليه. فقال المتوكل: يابن حمدون، ما الحكم في الرجل إذا نظر إلى غلام فتى؟ قال: أن تقطع أذنه. قال: ليحكم عليك بحكمك، فأمر أن تعرك أذنه حتى تخضر ثم تقطع، وأمر بنفيه إلى بغداد. فلقيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي بها فسأله عن حاله، وعمن ينادم المتوكل معه. فقال: أحد ندمائه ابن عمرو البازيار؛ فسأله إسحاق عن محله من العلم والفهم. فقال له: أكثر ما يقول للخليفة؛ أبقاك الله يا أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثير. فقال له إسحاق: اعمل على أنه كان لك كر آذان فقطعت؛ أليس ذلك أسهل من حضور مجلس تقاسي فيه ابن عمرو البازيار.

وكان ابن حمدون أخف الناس روحا وأحلاهم دعابة، وكان المتوكل يستملحه. فقال يوما: الزئبق من أين يجاء به؟ فقال ابن حمدون: من الشيز، وأنا أعرف الن١س بها. قال: قد وليتك إياها فاخرج إليها، فضاقت به الدنيا، وأنشده:

ولاية الشيز عزل ... والعزل عنها ولايه

فولني العزل عنها ... إن كنت بي ذا عنايه

فضحك المتوكل وأعفاه. وذكر الصولي أن أخاه أحمد عمل له البيتين.

بين أبي العيناء وابن الزيات

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه. فقال: إن من حق نعمة الله عليك، لما قد أهلك له في هذه الحال التي أنت عليها، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك؛ فبقضاء الحاجات تدوم النعم.

فقال محمد: أما إني أعرفك **فضوليا** كثير الكلام، أوترى أن طول لسانك يمنع مع أن أؤدبك إذا زللت؛ وأمر به إلى الحبس.

فكتب إليه من الحبس: قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم إليك، ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٠٩

علي؛ لأن كل جديد يستلذ؛ ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك، فأمر بإطلاقه.

وانقطع عنه مدة فلقيه، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه. فقال: ما لي لا أراك يا أبا عبد الله تواصلنا حسب إيجابنا لك؟ فقال له أبو العيناء: أما المعرفة بعنايتك فمناكرة، ولكنني أحسب الذي جدد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه، فأحببت أن تغمرني فيه.

لؤم ابن الزيات

وكان محمد بن عبد الملك على علمه وأدبه ألأم الناس، فمن عجيب لؤمه أنه كان له جار في انخفاض حاله، وكان بينهما ما يكون بين الجيران من التباعد؛ فلما بلغ محمد ما بلغ شخص الرجل إلى سر من رأى، فورد بابه وهو يتغدى، فوصل إليه وهو على طعامه، فتركه قائما لا يرفع طرفه إليه، فلما فرغ من أكله قال: ما خبرك؟ قال: قد أصارك الله أيها الوزير إلى أجل الآمال فيك، وصرف أعناق الناس إليك، وقد علمت ما كنت تنقمه علي، وقد غير الدهر حالي؛ فوردت إليك مستقيلا عثراتي، مستعطفا على خلاتي.

فقال له: قد علمت هذا، فانصرف وعد إلي في غد. فولى الرجل؛ فلما صار في صحن الدار دعا به، فلما صار بين قال له: والله ما لك عندي شيء، ثم أقبل على بعض من كان بين يديه، فقال: إنما رددته وآيسته بخلا عليه بفسحة الأمل بقية يومه.

وهذا كقول بعضهم:

إن قلت إنك كالسحاب لكان ذا ... وصفا لمثلك زائدا في الحال

إن السحاب لذو مواعد جمة ... وبخلت بالموعود والأفعال

وكان محمد بن عبد الملك واحدا في صناعته، مفردا في براعته.

بين أبي السمراء وعبد الله بن طاهر

وكان أبو السمراء العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري نديم عبد الله بن طاهر يأنس به، ويجاريه الشعر، فكتب إليه:

تقول لما جعلت أبكي ... سلوه بالله مم يبكي؟

فقلت أبكي لما أراه ... عما قليل يكون منك

قالت فلا تخش قلت ما لي ... قلب على الدهر يأتمنك

لا غرني الدهر منك ود ... قالت ولا غرني التبكي

فوقع ابن طاهر في ظاهرها بديها:

لا أشتكي من هواك إلا ... إليك لو ينفع التشكي

حلفت جهد اليمين أن لا ... أزول إلا إليك عنك

كلفتني السعي في طريق ... وعر قليل الأنيس ضنك

فرحت بي في إسار قلبي ... ثم تشاغلت عند فكي

ومن جيد شعره في جارية له توفيت:." (١)

"واسلم وعش لا زلت في نعمة ... أنت بها من غيرك الأولى

من ملح مزيد

قال مزيد لامرأته: أنت غير شفيقة علي، ولا راعية لي. فقالت: والله لأنا أرعى بك من التي كانت قبلي وأشفق. قال: أنت طالق ثلاثا، لقد كنت آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتشوي جنينها. فدعته إلى القاضي، فجعل القاضي يطلب له المخرج فقال: أصلحك الله! لا عليك إن أشكلت المسألة فهي طالق ثلاثين.

قال محمد بن حرب: أتيت بمزيد وامرأة ورجل أصيبا في بيته وأنا على شرطة المدينة، فحبسته وخليت سبيلهما، ثم دعوت به وقلت: ما خبرك؟ قال: أطلقتم الزوج حمام وحبستم الزاجل.

وكان أبو حبيب مضحك المهدي يحفظ نوادر مزيد ويحكيها له فيصله. فقال له مزيد: بأبي أنت! أنا أزرع وأنت تحصد.

ولقي مزيد رجلا كان صديقا لأبيه. فقال: يا بني، كان أبوك عظيم اللحية، فما بالك أجرودي؟ فقال مزيد: أنا خرجت لأمي.

وكسا امرأته قميصا فشكت إليه غلظه وخشونته، فقال: أترينه أخشن من الطلاق؟

من الأجوبة الطريفة

ناظر سعيد بن حميد الدهقان بعض آل أبي لهب؛ فقال: من فضلنا نحن الفرس أن لنا بيوت النيران. فقال اللهبي: وجهنم قطيعة لجدي.

رمي فضولي في النار؛ فقال: الحطب رطب!

من ملح البخلاء

وقال بعض البخلاء لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب. فقال: يا مولاي؛ هذا خطأ، إنما يقال: أغلق الباب

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحصري القيرواني ص/١١٤

وهات الطعام. فقال له: أنت حر لوجه الله لمعرفتك بالحزم.
قال جهم بن خلف: أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمرا. ثم قال لغلامه: خذ هذا الفلس فاشتر به زيتا، فأتى الغلام به. فقال له: خنتني. فقال: وكيف أخونك في فلس؟ قال: أخذته لنفسك واستوهبت الزيت.
وقال الأحنف بن قيس: يا بني تميم، أتبخلونني وربما أشرت عليكم برأي خير من مائة ألف درهم؟ فقال بعض من سمعه: تقويمك الرأي عليه غاية البخل.
من أظرف ما قيل في بخيل
ومن أظرف ما قيل في بخيل:
وأخ مسه نزولي بقرح ... مثلما مسني من الجوع قرح
قال إذ زرت وهو في شدة السك ... رة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الل ... ه والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا ... ل تمام الحديث جوعوا تصحوا
غفلة
مر رجل بإنسان وعلى عاتقه عصا في طرفيها زنبيلان قد كادا يحطمانه، في أحدهما بر وفي الآخر تراب. فقال: لم فعلت هذا؟ قال: عدلت البر بالتراب، لأنه كان قد أمالني إلى أحد جنبي؛ فأخذ الرجل زنبيل التراب وقلبه وقسم البر نصفا في الزنبيلين. وقال: الآن فاحمل، فحمله فخف عليه؛ فقال: ما أعقلك من شيخ!.
يتماوت ليسأل الكفن
وشرب أحمد بن أبي طاهر مع أبي هفان حتى فني ما معهما، وكانا بجوار المعلى ابن أيوب؛ فقال ابن أبي طاهر لأبي هفان: تماوت حتى اسأل المعلى في كفنك. فسجاه ومضى إلى المعلى فقال: أصلحك الله، نزلنا في جوارك فوجب عليك حقنا، وقد مات أبو هفان وليس له كفن. فقال لـوكيله: أمض إليه لتشاهده وادفع له كفنا. فأتى فوجده مسجى فنقر أنفه فضرط، فقال له: ما هذا؟ قال ابن أبي طاهر: أصلحك الله بقية روحه كرهت نكهته فخرجت من دبره، فأخبر المعلى فضحك وأمر لهما بدنانير كثيرة.
متجسس متماوت
وكان أحمد بن طولون قد نابذ الموفق وباينه بالعداوة وخلعه، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس وكان

متيقظا فهما، فأشرف من قصره يوما، فإذا بجنازة قد مرت عليه. فقال: علي بالنعش ومن فيه. فأحضروه، فقال: قم يا متماوت، ثم دعا بالسياف وقال: اضربه، فقام الميت من نعشه، فقال له: أنت متجسس من ناحية أحمد؟ قال نعم! قال: لو لم أتقدم إليك لقتلتك وقتلت من معك، وأمر من أخرجهم عن عمل مصر. فقيل له: من أين علمت ذلك؟ فقال: رأيت القوم ليس عليهم كآبة من مات له ميت، ورأيتهم يطوفون بالقصر، ونظرت إليه في النعش فرأيت رجليه قائمتين ورجل الميت تسترخي؛ فحكمت أنه حي، فلما حضر رأيته يسارق النفس فصحت القضية.

من الطرف

وحضر علي بن بسام مع جحظة البرمكي دعوة، فتفرق الجماعة المخاد، وبقي جحظة. فقال: ما لكم لم تدفعوا إلي مخدة؟ فقال له ابن بسام: عن قليل تصير إليك كلها.." (١)

"قال: وقوله:

يا ذا الذي أنكرني طرفه ... إن ذاب جسمي وعلاني شحوب

ما مسني ضر ولكنني ... جفوت نفسي إذ جفاني الحبيب

أخبرني أبو القاسم الأزهري، حدثنا محمد بن جعفر الأديب، حدثنا أبو القاسم السكوني- إملاء- حدثنا الحسين بن مكرم، حدثنا محمد بن يزيد الثمالي قال: مات أبو العتاهية، وعباس بن الأحنف، وإبراهيم الموصلي في يوم واحد، فرفع خبرهم إلى الرشيد، فأمر المأمون بحضورهم والصلاة عليهم، فوافى المأمون وقد صفوا له في موضع الجنائز، فقال: من قدمتم؟ فقالوا إبراهيم، قال: أخروه وقدموا عباسا، قال فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعض الطاهرية فقال له: أيها الأمير بم قدمت عباسا؟ فقال يا فضولي بقوله:

سماك لي قوم وقالوا إنها ... هي التي تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إني ليعجبني المحب الجاحد

قلت: في هذا الخبر نظر، لأن وفاة العباس كانت بالبصرة، واختلف في الوقت الذي مات فيه.

أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي سليمان وعلى بن أبي علي المعدلان قالا: أخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري، حدثنا محمد بن القاسم الشطوي، حدثنا أحمد ابن عبيد قال: سمعت الأصمعي يقول: بينا أنا ذات يوم قاعد في مجلس بالبصرة، فإذا أنا بغلام أحسن الناس وجهها وثوبا واقف على رأسي، فقال: إن مولاي يريد أن يوصي إليك، فقمت معه، فأخذ بيدي حتى أخرجني إلى الصحراء، فإذا أنا بعباس بن

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحصري القيرواني ص/١١٧

الأحنف ملقى على فراشه، وإذا هو يجود بنفسه وهو يقول:

يا بعيد الدار من وطنه ... مفردا يبكي على شجنه

كلما شد النجاء به ... دارك الأسقام في بدنه

ثم أغمي عليه، فانتبه بصوت طائر على شجرة وهو يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجى ... هاتف يبكي على فننه

شاقه ما شاقني فبكى ... كلنا يبكي على سكنه

ثم أغمي عليه، فظننتها مثل الأولى، فحركته فإذا هو ميت.." (١)

"٢٢٤ - حدثني منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري قال: كتب القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي رقعة إلى كمال الدولة أبي الفضل بن فسانجس بشيء فعله أبو الحسن بن عبد الرحيم النائب عن كمال الملك أبي المعالي بن عبد الرحيم أخيهن في معنى ضرب دنانير ناقصة العيار ومطالبة الناس بأخذها بدنانير الجياد، فعلة من أفعاله القباح التي كان بها معروفا وعلى أمثالها معتمدا في متصرفاته ونيابته عن أخيه، وليس قصدنا ذكر ذلك فنخرج به عما قصدناه، وإن كانت أخباره القبيحة كثيرة وظاهرة، البيانيغني عن ذكرها وسطرها، فشكاه التنوخي فيما فعله وارتكبه واستحسنه ونفث مما في صدره منه ثقة بكمال الدولة ولأنس كان بينهما، وكمال الدولة عدو بني عبد الرحيم، وأعطى الرقعة لغلام كان له أعور يدعى بأحمد، وقال له: احمل هذه الرقعة إلى كمال الدولة، فوقع في أذنه:"احمل هذه الرقعة إلى كمال الملك، فأخذها وحملها إليها، ودخل بها عليه" فحين وقف عليها علم أنها من غلطات التنوخي وحماقته وهفواته وزلاته، وكان بذلك معروفا، وقد صار منه مألوفا، فقال له: يا أحمد قد غلطت! هذه إلى كمال الدولة أبي الفضل بن فسانجس، فاحملها إليه؛ فأخذها أحمد وحملها إلى ابن فسانجس، وأخذ جوابها إلى القاضي، فلما سلمه إليه قال له: أنت أبدا لاتفهمني ما تقوله لي! قال: كيف؟ قال: قلت لي احمل الرقعة إلى كمال الملك، فلما قرأها قال لي هذه إلى كمال الدولة، فرجعت بها إليه! قال له: أو قد حملت اللاقعة إلى كمال الملك؟ قال: نعم، فلطم على رأسه ووجهه وقال: ويه ثم ويه ثم ويه! ووثب إليه فأخذ عمامته وهرب منه، فخرطها حتى لم يبق منها مصرة درهم صحيحا ...

قال أبو منصور: وجاءني لا يعقل أمره، وحدثني ذاك، فقلت له: يا قاضي! أنت سيدي ووالدي، وأنا عبدك وولدك، والله إنك فضولي، ما عليك من بني عبد الرحيم وفعلهم، وهم أولياء نعمتك ومحبوك، وأنت وليهم

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٣١/١٢

ومنتم إليهم ومحب لهم، وبحيث لو قيل لك: أيما أحب إليك أن تموت أنت قبل بني عبد الرحيم أو هم قبلك لاخترت سبقهم وبقاءهم بعدك، لأنهم يراعونك ويفعلون معك مالا تفعلونه مع غيرك! وقد وسموك بدار الضرب، وما تخل من ثلاثين دينارا في الشهر، وما هم إلى غيرك بالإطلاق فعل يقارب هذا الفعل، ثم أي تعلق لابن فسانجس في هذه الأمور وهو رجل قاعد في بيته، لايحلي ولايمر، ولايقضي ولا يمضي، حبابه السلامة منهم وأن يمكنه المقام في بيته معهم حتى تكاتبه بأخبارهم وأفعالهم! ثم إنك عدوه ومضمر بغضه، وأنت تصوم كل يوم ثلاثاء لما قبض عليه في يوم الثلاثاء، سرورا بمساءته وفرحا بمضرته، ولما أسلف إليك من القبح الذي يطول به الشرح!! فقال: اعلم أن بطن الأرض أحسن إلي من ظهرها وأصلح، فم بنا إلى المرتضى أبي القاسم نقيب النقباء؛ فقمنا وجئناه بالحديث، فقال له مثل قولي، وقال له التنوخي: الشيخ أبو منصور من لا قوم وإليهم، وأسألك أن تكلفه أن يمضي إلى كمال الملك ويفاتشه في ذلك ويسأله الإقالة من هذه العثرة والإغضاء عنها وعن هذه الزلة! فقال له: كمال الملك يعرفك ويفهم فعلك وأنه عن غير نية قبيحة فاسدة، بل عن هفوة منك وأشياء متصلة زائدة، وهو أقل من أن يجري في ذاك قولا أو يحدث عليه فعلا! فقال: ما تسكن نفسي ولا يراجعني أنسي إلا بعد أن أعلم من هاذ الأمر زوال ما أحذر! فالتفت المرتضى إلي وقال: هو ذا تسمع، وأنت أولى من انتهى إلى إرادته وتطف لمصلحته! فقلت: السمع والطاعة، وقمت وعبرت إلى باب المراتب، ودخلت على كمال الملك عصرا، فقال لي: أريد أ، آكل خبزا، وما اتفق لي من يأكل معي، فقم بنا .. فدخلنا إلى موضع المائدة، وأكلنا، وجاءوه بما يشرب، وبدأته لما ظهرت نشوته وطابت نفسه فحدثته بحديث القاضي، فضحك وقال: قد والله ابتلي بنفسه وحمقه وخفته! ثم قال: قل له لا يقل في هذا شيئا فيسمع أبو الحسن أخي، وليس ذاك بمأمون على المقابلة، وصدق، قال فإنه كان محسن بيت بني عبد الرحيم، يعني بذاك المحسن بن الفرات الذي كان سببا في هلاك أبيه وأهله وذويه، قال: فرجعت إلى التنوخي بذاك فطابت نفسه، وأمسك.

٢٢٥ – حدثني أبو القاسم بن البسري البندار، وكان محدثا عالي الإسناد، قال: أنشدني أبو القاسم بن بابك الشاعر لنفسه في التنوخي:

إذا التنوخي انتشى ... وغاص ثم انتعشا." (١)

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٦١

"الشهداء في قباب ورياض

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان أيضا قال: أخبرنا أبو بكر الشافعي قال: حدثنا محمد بن يونس بن موسى قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي قال: حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري عن أبي هارون الغنوي عن مسلم بن شداد عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال: الشهداء يوم القيامة بفناء العرش، في قباب ورياض بين يدي الله، عز وجل.

عيناء الجنة

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال: حدثنا أبو بكر الشافعي قال: حدثنا أحمد الحسن بن عبد الجبار قال: حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال: حدثنا إسحاق ابن بنت داود بن أبي هند قال: أخبرنا عباد بن راشد البصري عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس بن مالك، إذ قدم عليه ابن له من غزاة، يقال لها أبو بكر، فساءله، فقال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ بينا نحن قائلون في غزاتنا إذ ثار، وهو يقول: وا أهلاه، وا أهلاه، فثرنا إليه، وظننا أن عارضا عر ض له، فقلنا: ما لك؟ فقال: إني كنت أحدث نفسي ألا أتزوج حتى أستشهد، فيزوجني الله تعالى من الحور العين، فلما طالت علي الشهادة قلت في سفرتي هذه: إن أنا رجعت، هذه المرة، تزوجت، فأتاني آت في المنام قال: أأنت القائل إن رجعت تزوجت؟ قم، فقد زوجك الله العيناء، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة، فيها عشر جوار.

وذكر الحديث وقطع الحديث، بسبب ما وقع في الجامع، وذلك أنه تكلم رجل في المذهب، فعاونه رجل فضولي في رواق الجامع، وأخرجوه فقتل وانقطع عنا الحديث، وقبر في غد في قبر معروف، فسئل الشافعي." (١)

"يرحن معا بطاء المشي رودا، ... عليهن المجاسد والبرود.

سكن ببلدة وسكنت أخرى، ... فقطعت المواثق والعهود.

فما بالي أفي ويخان عهدي، ... وما بالي أصاد ولا أصيد.

ورب أسيلة الخدين بكر، ... منعمة لها فرع وجيد.

وذو أشر شتيت النبت عذب ... نقي اللون براق برود.

لهوت بها زمانا في شبابي، ... وزارتها النجائب والقصيد.

---

(١) مصارع العشاق السراج القارئ ١/١٧٩

أناسا كلما أخلقت وصلا ... عناني منهم وصل جديد.

فدفن في أرض مراد.

المحب الجاحد

أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحافظ قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال: حدثنا محمد بن جعفر الأديب قال: حدثنا أبو القاسم السكوني إملاء قال: حدثني الحسين بن مكرم قال: حدثنا يزيد الثمالي قال: مات أبو العتاهية وعباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلي في يوم واحد، فرفع خبرهم إلى الرشيد، فأمر المأمون بحضورهم والصلاة عليهم، فوافى المأمون، وقد صفوا له في موضع الجنائز، فقال: من قدمتم؟ قالوا: إبراهيم، قال: أخروه وقدموا عباسا! قال: فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعض الظاهرية، فقال له: أيها الأمير بم قدمت عباسا؟ قال: يا فضولي بقوله:

سماك لي قوم وقالوا: إنها ... لهي التي تشقى بها وتكابد.

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم، ... إني ليعجبني المحب الجاحد.." (١)

"الهاذون «١» من القصاص

ألقي إلى أبي مسلم القاص خاتم بلا فص، فقال: صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف.

وقال قاص: ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها في موضعها. ثم يصعد، فقيل: فالقطرة التي تقع في الكنيف يدخل معها الملك؟ فقال:

إن في الملائكة كناسين كما في الناس ذوي دناءة وخسة.

وقال أبو عقيل: الرعد ملك أصغر من نحلة وأعظم من زنبور، فقيل: لعلك تريد أصغر من زنبور وأعظم من نحلة، فقال: لو كان كذا لم يكن بعجب.

وقرأ رجل في مجلس سيفويه قوله تعالى: وراودته التي هو في بيتها عن نفسه

«٢» فقال: دعنا من قرآن الحماشين، وهات قرآن طرسوس يعني الجهاد.

وقال قاص: يا قوم اشكروا إذا لم يكن للملائكة نجاسة فكانوا يحزنون علينا، يلطخون ثيابنا.

وقال يوما: احذروا الله فإنه ماء تحت التبن، فقيل له: كيف؟ فقال: أهلك عالما في سبب ناقة قيمتها مائتا درهم، وقتل ابن النبي فلم ينتطح فيه عنزان. ربما يأخذ بالقليل ويعفو عن الكثير.

---

(١) مصارع العشاق السراج القارئ ٢٣١/١

وقال آخر: من صلى ركعتين، فله بيت في الجنة، فقال نبطي، إن صليت خمسين ركعة هل يجعل لي بيت؟ فقال: لا يا عاص إن ذلك لبني هاشم، فأما أنت فيبنى لك جدح بعكر.

وقال بعضهم: كان موسى عليه السلام فضوليا. قيل: وكيف قال؟ قيل له: وما تلك بيمينك يا موسى؟ فكان الجواب أن يقول عصا. فقال: هي عصاي (الآية) . فأخذ فيما لا يعنيه.

أدعيتهم

دعا بعض القصاص فقال اللهم جازفنا ولا تفتش عن ذنوبنا فتفضحنا. وكان بعضهم يقول: اللهم اغفر لنا كل نعمة وحسنة، واحشرنا في جملة سيدي أبو عبد الله بن حنبل ولا تغفر للرافضة.

من أفتى في مسألة برقاعة

ترك طبيب طبه وقعد فقيها فقيل له: ما تقول في من زعف في صلاته؟ فقال: يحتجم، قيل: فمن قلس في صلاته، فقال: يتناول حب أيارج، قيل: ذا طب وليس بفقه.." (١)

"وقال مسلم بن قتيبة: لا يجب الصبي أن يكون سخيا فإنه لا يعرف فضل السخاء، وإنما يعطي ما في يده ضعفا.

وقال الأصمعي المهلكات أربع: الكبر والحسد والبخل والحرص.

وقال معاوية ثلاثة ما اجتمعن في حر: مباهتة الرجال وغيبتهم، وملال أهل المودة.

وقيل: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسنه لنفسه. وقال صالح بن عبد القدوس: ما شيء إلا وفيه منفعة، فقال بعض من حضره: لو علق رجل بإحدى يديه أي منفعة فيه؟

قال: لا يعرق إبطه.

النية أساس الأعمال والأعمال، ثمار النيات.

وقالت الترك: حفظ مرتبة خير من خفض مرتبة.

وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا كنت في قوم فحدثهم بقدر سنك، وخاطبهم بلفظ محلك، ولا ترتفع عن الواجب فتستقل، ولا تنحط فتحتقر.

أربعة لا تكتم: العقل والحمق والغنى والفقر، قيل: سمي الجار لتجيره والصديق لتصدقه، والرفيق لترفق به.

قيل: ما استقصى حر قط. قال الله تعالى: عرف بعضه وأعرض عن بعض

«١» ،. فلم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم حفصة على ما كان منها. قال الأقطع رفيق الصناديقي:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٧١/١

وقعت إلى بلدة قاصية من خراسان فسألوني هل تعرف شيئا من شعر الصاحب فأنشدتهم:

بودي لو يهوى العذول ويعشق «٢»

فقال **فضولي**: هذا للبحتري، فقلت: لقد قال ذلك رجل بنيسابور فضرب ثلاثمائة سوط. فسكت عمي أبو الحسن الصوفي على الرئيس أبي الفضل:

أنا إن لم أك أهوا ... ك فرأسي في حر أمي «٣»

توقيع للصاحب:

وإذا أردتم أن تسروا عامرا ... فتعمدوا بصنيعكم أصهارها

قال القاضي أبو الحسن: استعار رجل من الخلاد شعره فقال: يا بني نحن أكلنا شعر الطائي والبحتري ومن يجري مجراهما. وهؤلاء أكلوا شعر النابغة حتى خرؤا مثل هذا الشعر. وأنت إذا أكلت شعري فأي شيء تخرأ؟

قال حكيم الحياء: يمنع من عمل السيئات، والحمية تمنع من عمل الحسنات.

قال أبو عبد الرحمن خالد بن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر؟ قال: الدنيا." (١)

"وقال أبو تمام:

كالبكر توحشها مضاجع بعلها ... والحيض علتها وليس بحائض «١»

وقال الخبزارزي:

كن في الجماعات حيث كانوا ... فالموت عرس مع الجميع

وله:

مالي أحوط حول دجلة حائطا ... لولا اعتراض حماقتي **وفضولي**

ما أهون الموت على النوائح

وقال إسماعيل:

صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما قرى في الحلاب

وقال آخر:

وأترك الشيء أهواه فيعجبني ... أخشى عواقب ما فيه من العار

وقال آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٤٣/٢

فلو أن لي تسعين قلبا تشاغلت ... جميعا فلم يفزع إلى غيرها قلب

وقال آخر:

دلا على حيلة فيها لنا فرج ... إن الدليل على خير كمن فعلا

وقال آخر:

ولي ظنان بينهما رجاء ... يكذب سوء ظني حسن ظني

وقال هارون المعتصم:

إذا ما خانني يوما جوادي ... جعلت الأرض لي فرسا وثيقا «٢»

وقال آخر:

وأسرع نسياني الذي لا يهمني ... ونسياني الشيء المهم قليل

وقال آخر:

أنت والله حمار ... قاعد بين حمير

وقال آخر:

هون الأمر تكن في راحة ... قلما هونت أمرا لا يهون «٣»." (١)

"فبفضلي انتفعت لا بفضولي ... وبقولي ارتفعت لا بقيولي

ثم قال: تعسا لمن جدب الأدب. وطوبى لمن جد فيه ودأب! ثم ودعني وذهب. وأودعني اللهب.

المقامة العمانية

حدث الحارث بن همام قال: لهجت مذ اخضر إزاري. وبقل عذاري. بأن أجوب البراري. وعلى ظهور المهاري. أنجد طورا. وأسلك تارة غورا. حتى فليت المعالم والمجاهل. وبلوت المنازل والمناهل. وأدميت السنابك والمناسم.." (٢)

"دعامة العقل الحلم.

دنياك ما أنت فيه.

دخل فضولي النار، فقال: الحطب رطب.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧٥٩

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٤٠٦

دل على عاقل اختياره.

دع اللوم، إن اللوم عون النوائب.

دواء الدهر الصبر عليه.

دع المراء وإن كنت محقا.

دعوا قذف المحصنات، تسلم لكم الأمهات.

الدراهم أرواح تسيل.

الدابة تساوي مقرعة.

الدنيا قنطرة.

الدراهم مراهم.

الدنيا قروض ومكافآت.

الدرجة أوثق من السلم.

يضرب في اختيار ما هو أحوط.

الدينار القصير يسوى دراهم كثيرة.

يضرب للشيء يستحقر ونفعه عظيم.

الدراهم بالدراهم تكسب.." (١)

"طاعة اللسان ندامة.

طبيب يداوي الناس وهو مريض.

طريق الحافي على أصحاب النعال، وطريق الأصلع على أصحاب القلانس.

طبل بسري.

إذا أفشاه

طول اللسان يقصر الأجل.

طواه طي الرداء.

طلاب العلا بركوب الغرر.

طعمة الأسد تخمة الذئب.

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٧٤/١

طول بلا طول ولا طائل.

طاعة الولاة بقاء العز.

طول التجارب زيادة في العقل.

الطمع الكاذب فقر حاضر.

الطمع الكاذب يدق الرقبة.

قاله خالد بن صفوان حين واكله لأعرابي، وذلك أنه كان قد بنى دكانا مرتفعا لا يسع غيره ولا يصل إليه الراجل، فكان إذا تغدى قعد عليه وحيدا يأكل لبخله، فجاء أعرابي على جمل ساوى الدكان ومد يده إلى طعامه، فبينما هو يأكل إذ هبت ريح وحركت شنا هناك، فنفر البعير، وألقى الأعرابي، فاندقت عنقه، فقال خالد: الطمع الكاذب يدق الرقبة، فذهبت مثلا.

الطير بالطير يصطاد.

الطيور على ألافها تقع.

الطبل قد تعود اللطام.

اطرح نهدك، وكل جهدك.

اطلع القرد في الكنيف، فقال: هذه المرآة لهذا الوجيه.

اطرح وافرح.

طفيلي ومقترح.

يضرب للفضولي.." (١)

"من الدهش أو معرفة الكتابة والخط. فقد لجج وترك الناس على الشط. أو حفظ ما يحاضر به فصيب يفيض وبحر لا يغيض. وليس بعريان كعود النبع من ثمر علوم الشرع نعم يا أبا القاسم إن سمعتهم يقولون ما أكثر فضلك فقل إن فضولي أكثر وما أغزر أدبك فقل إن قلة أدبي أغزر فلعمر الله ليس بأديب ولا أريب. كل مغرب وحافظ غريب. الأديب من أخذ نفسه بآداب الله فهذبها ونقح أخلاقه من العقد الشائنة فشذبها. والأريب الفاضل من لم يكن له أرب ولا وطر. إلا أن يكون له عند الله فضل وخطر. ما

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/٤٤٢

غناء من قوي علمه وعمله قد فتر. إن علما بلا عمل كقوس بلا وتر. حاملها حيران مرتبك في العماية لا يهتدي وإن كان ابن تقن إلى وجه الرماية متى نظر إلى الرماة." (١)

"وكان متحيلا كثير الترقيح والاستعمال، لضروب من الكذوب [وزور المقال] ، فربما أنشأ عدة رسائل فينحلها القيان، ويبيعهن بأغلى الأثمان، وقد ذكرنا في أخبار ابن رزين أنه باع منه قينة بثلاثة آلاف دينار، حسبما حكاه أبو مروان [ابن حيان] .

ولابن الكتاني فصل من رقعة يصف فيها تعليمه القيان، يقول فيه: فأنا منبه الحجارة، فضلا عن أهل الفدامة والجهالة، واعتبر ذلك بأن في ملكي الآن أربع روميات كن بالأمس جاهلات، وهن الآن عالمات حكيمات منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقاويات أسطرلابيات معدلات نجوميات نحويات عروضيات أدبيات خطاطيات، تدل على ذلك لمن جهلهن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن وغريبه وغير ذلك من فنونه، وعلوم العرب من الأنواء والأعاريض والأنحاء، وكتب المنطق والهندسة وسائر أنواع الفلسفة، وهن يتعاطين إعراب كل ما ينسخنه ويضبطنه فهما لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه، وفي هذا أعظم الشهود أني واحد عصري ونسيج وحدي، وأني أفنيت الزمان تجربة، والدهر تبصره، فاعرف – أعزك الله – قدري، ووفني قسطي، ولا تطمع أن تظفر بعالم مثلي، أو متفرغ فضولي شبهي، ولو طفت الآفاق، وساءت الرفاق، ومشيتا العراق، من زقاق إلى زقاق.

وأنشدت لابن مهران من شعر كتب به إلى بعض كتاب الثغر من جملة أبيات:." (٢)

"قال ابن مفرج: كان الباجي من أهل الرواية العالية، والبصر بالحديث، والمعرفة بالفقه، من الراسخين فيه والحافظين له، من أهل النصائح في الدين، والتواضع في الدنيا. ولا يصحب السلطان. ولي مرة قضاء بلده، وشوراه وألح في الاستعفاء حتى عوفي، من القضاء. وبلغ عدد ما رواه من الدواوين مايتين وثمانين ديوانا. وأوصله ابن أبي عامر الى نفسه، وسلم عليه. وكانت فيه صحة. وقد عارضه فقال لابن أبي عامر: لي والد كان والدك، رحمه الله – وأثنى عليه خيرا – ووصفه بطلب. قال: وكان لي صديقا، سمعت منه على الشيوخ، ولم يكن فضوليا، وأنت فلم تماثله. وأدخلت يدك في الدنيا، فانغمست في لجتها، وطلبت الفضول، وعلمت أخبارا كثيرة. وأوبقت بنفسك، والله يا مغرور، عز علي انتسابك. فاحتمل ابن أبي عامر

---

(١) مقامات الزمخشري الزمخشري ص/١١٢

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٣٢٠

قوله، لعلمه بسلامته. ثم قال له: يا حاجب: قال النبي صلى الله عليه وسلم، لبس على مسلم جزية. فأيش تقول أنت فيه؟ فقال ابن أبي عامر: وما عسى أن أقول في حديثه، صلى الله عليه وسلم، هو حق." (١)

"ألا من لنفس وأحزانها ... ودار تداعى بسكانها

أسود وجهي بتبييضها ... وأهدم كيسي بعمرانها

«٨٣٩» – دخل رجل على الحطيئة وهو مضطجع في فراشه وإلى جانبه سوداء فقال له الحطيئة: أتدري من هي؟ قال: لا، قال: هي والله التي أقول فيها:

[من الطويل]

وآثرت إدلاجي على ليل حرة ... هضيم الحشا حسانة المتجرد

تفرق بالمدرى أثيثا كأنه ... على واضح الذفرى أسيل المقلد

«٨٤٠» – قال رجل مطعون النسب لأبي عبيدة لما عمل كتاب المثالب:

سببت العرب جميعا. قال: وما يضرك أنت من ذلك؟ فقال لأبي عبيدة:

الأصمعي دعي؟ قال: ليس في الدنيا أحد يدعي إلى أصمع.

«٨٤١» – قال أبو الغلالة الحمدوني: [من المنسرح]

يا سائلي عن حمار طياب ... ذاك حمار حليف أوصاب

كأنه والذباب يأخذه ... من كل وجه بقيار دوشاب

«٨٤٢» – دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك [الزيات] فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه، فقال: إن من حق نعمة الله تعالى عندك أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك، فإن من أوحش انقبض عن المسألة، وبكثرة المسألة مع النجح يدوم السرور. فقال له محمد: أما إني أعرفك **فضوليا** كثير الكلام. وأمر به إلى الحبس، فكتب إليه: قد علمت أن الحبس لم يكن من جرم تقدم إليك، ولكن." (٢)

"نوادر ذوي العاهات والأدواء

«١٠١٠» – كان الحكم بن عبدل الأسدي أعرج، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج، وكان صاحب شرطته أعرج. فقال ابن عبدل: [من الكامل]

ألق العصا ودع التخاذل والتمس ... عملا فهذي دولة العرجان

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٣٦/٧

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٩٣/٩

لأميرنا وأمير شرطتنا معا ... لكليهما يا قومنا رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فإن الرابع الشيطان

«١٠١١» - وأنشد الأعور: [من الوافر]

ألم ترني وعمرا حين تغدو ... إلى الحانات ليس لنا نظير

أسايره على يمنى يديه ... وفيما بيننا رجل ضرير

«١٠١٢» - دخل آخر إلى بعض الرؤساء فساره بشيء فتأذى ببخره. فلما فرغ من حديثه فسا وزاد البلاء على الرجل، فقال له: قم بالله فإنك عارم الطرفين.

«١٠١٣» - قال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى نهرا فملأ الجرة ورجع. فقلت له: أنت أعمى والليل والنهار عليك سواء، فما معنى هذا السراج؟ قال: يا فضولي، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضيء به ولا يعثربي في الظلمة فيقع علي ويكسر جرتي.

«١٠١٤» - جلس كسرى للمظالم فتقدم إليه رجل قصير، فأقبل يصيح أنا." (١)

"واسحق بن حنين كان من جلة المسلمين، وقد حسن إسلامه، وأشركه المكتفي في بيعة ابنه مع وزيره العباس بن الحسن.

حبيش الطبيب

وحبيش كان من الأطباء المتقدمين والمهندسين. وله تصانيف كثيرة في الطب، وكان مصيبا في المعالجات. ومما حكي عنه قوله: الكذب رأس كل بلية من ترك الحقد أدرك معالي الأمور قد يكون القريب بعيدا بعداوته، والبعيد قريبا بمودته من كرمت نفسه، لم يكن إلا بالحكمة أنسه.

العافية نظام كل مأمول.

ثابت بن قرة الحراني

كان حكيما كاملا في أجزاء علوم الحكمة. وقيل إنه كان من الصابئين وهو جد محمد بن جابر بن سنان صاحب الرصد. وكان المعتضد بكرمه، ومن إكرامه له أن المعتضد طاف معه في بستان له. ويده على يد ثابت (فانتزع بغتة يده من يد ثابت ففزع من ذلك فقال له المعتضد: يا ثابت، أخطأت حين وضعت يدي على يدك وسهوت، فإن العلم يعلو ولا يعلى فهذه غاية إكرامه في بابه.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/٤٢٥

ومما نقل عنه: ليس شيء أضر بالشيخ من أن يكون له طباخ حاذق وامرأة حسناء. لأنه يستكثر من الطعام فيسقم، ومن النكاح فيهرم.

وقال لما ارتبطه بجكم الماكاني حاجتي إلى الأمير أن يعينني على حفظ صحته بشيئين وهما ترك الأكل على السكر، والتمتع في الحمام. وكتاب الذخيرة من تصنيفه كتاب نادر في الطب.

محمد بن زكريا الرازي المتطبب

كان محمد بن زكريا الرازي في بدء أمره صائغا، ثم اشتغل بعلم الإكسير، فرمدت عيناه بسبب أبخرة العقاقير المستعملة في الإكسير، فذهب إلى طبيب ليعالجه، فقال له الطبيب: لا أعالجك حتى آخذ منك خمسمائة دينار. فدفع ابن زكريا الدنانير إلى الطبيب وقال: هذا هو الكيمياء لا ما اشتغلت به.

فترك صناعة الإكسير واشتغل بعلم الطب، حتى نسخت تصانيفه تصانيف من قبله من الأطباء المتقدمين.

وقال أبو علي بن سينا في حقه: هو المتكلم الفضولي الذي من شأنه النظر في الأبوال والبرازات. وقد صدق لأنه بلغ الغاية في المعالجات الطبية وتكلم بالعوراء والخبائث فيما سوى ذلك.

ومما نقل عنه: الطب حفظ الصحة، ومرمة العلة وقال: السموم ثلاثة: أكل الشواء المغموم، واللبن الفاسد، والسمك المنتن.

علي بن ربن الطبري

كان من كتاب مدينة مرو وله همة رفيعة، وعلم بالإنجيل والطب. وتفسير ربن العلم العظيم وابنه كان حكيما كاملا، يعرف ذلك من كتابه المعنون بفردوس الحكمة، وبه تصانيف كثيرة، أكثرها في الطب. ومما نقل عنه: السلامة غاية كل سؤال.

طول التجارب زيادة في العقل التكلف يورث الخسارة شر القول ما نقض بعضه بعضا.

إسحاق بن سليمان

قال: من تناول الطين تسدر العين، ويصفر اللون، ويبخر الفم، وتحفر الأسنان وقال: عجبت لمن اقتصد في أكل الخبز الحنطي، واللحم الحولي، واحترز من الهواء الوبي، والماء الردي، كيف يمرض.

أبو الحسن البسطامي

قال: الأكل على الشبع داء، والشرب على الجوع ردى وقال: راحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الكلام، وراحة العقل في قلة الاهتمام.

وقال: اجتنب ثلاثة وعليك بأربعة، ولا حاجة لك إلى الطبيب: اجتنب الغبار والنتن والدخان، وعليك

بالحلو والدسم والحمام والطيب مع الاقتصاد.

وقال: عمى العقل داء لا دواء له.

اسحق بن قريش

قال: لا سواء أكل يوم يمنعك أكل حول، وصبر يوم يسوق إليك أكل حول.

وقال: خير الطعام أنظفه وأخفه وأمرؤه.

أبو زكار النيسابوري

كان حاذقا عالما بأجزاء العلوم الحكمية، وصنف كتابا وسماه " المبتدى والمنتهى " وفيه فوائد كثيرة. وقال: إن للنصارى شياطين يدعونهم إلى تناول لحم الخنزير وللمسلمين شياطين يدعونهم إلى شرب الخمر، وأكل الجبن اليابس، والقديد والكواميخ.

أبو الحسن الصميري

كان حكيما معروفا في زمانه قال: الحمية في العلة هي الزمام لاقتياد الصحة.

قال: من أثنى على نفسه فقد أظهر حمقه.

وقال: بالبر تذهب الوحشة.

أبو الحسن بن تكين البغدادي الضرير." (١)

"دفع إلي أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل جرءا عن محمد بن أحمد بن شاكر نا أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن (١) عبد الله الخولاني قال أملى علينا أبو عبد الرحمن أحمد (٢) بن شعيب بن علي النسائي أسماء شيوخه الذين روى عنهم فقال يحيى بن عثمان حمصي لا بأس به أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله الخطيب أنا جدي أبو عبد الله أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن علي أنا الحسن بن عبد الله بن سعيد الحمصي أنا الحسين بن محمد بن إبراهيم السكوني بحمص نا يحيى بن عثمان المختار العدل الرضا نا محمد بن حمير بحديث ذكره قرأت بخط أبي الحسين الرازي أخبرني أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصي قال سمعت سلمة بن الهيذام الكلبي قال كان جعفر المتوكل قد جعل عمروا (٣) ويحيى ابني عثمان بن سعيد المختارين بحمص في أيام التعديل قال فقال لي يحيى يا سلمة من أين جئت فقلت من عند أخيك عمرو فقال وما يعمل فقلت هو قاعد وابنه يكتبان كتابا إلى أمير المؤمنين عنك وعنه فقال الله حسيبهما مالي ولأمير المؤمنين وما أنا وأمير المؤمنين ما أمرت ولا

---

(١) تتمة صوان الحكمة البيهقي، ظهير الدين ص/٢

علمت قال وكان يحيى ورعا لا يدخل في عمل السلطان قال سلمة فلقيني عمرو بن عثمان الغد فقال لي يا **فضولي** ما حملك على ما فعلت أمس فقلت يا أبا حفص أردت أن أسر أخاك فقال يا بني غممته ونالنا منه من العتب ما كنا عنه أغنياء فلا تعد لمثلها سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول سمعت أبا القاسم الإسماعيلي يقول سمعت أبا عمرو عبد الر حمن بن محمد الفارسي يقول سمعت ابن عدي يقول (٤) سمعت الحسين بن أبي معشر يقول يحيى بن عثمان يعني ابن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي لا يسوى (٥) نواة كان يتلقن كل شئ وكان يعرف بالصدق

---

(١) الزيادة عن " ز " وم

(٢) سقطت من الاصل واستدركت عن " ز " وم

(٣) الاصل: " عمر " وفي م: " عمرو " والمثبت عن " ز "

(٤) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٧ / ٢٥١ ونقله المزي في تهذيب الكمال ٢٠ / ١٧٢ عن ابن عدي

(٥) في " ز ": يساوي." [1]

"ومعهما جميع ما يحتاجان إليه فأكلا وشربا ونعما. فدليت رأسي وصحت مسام ثلاث مرات، فلم يكلمني بأكثر من أن قال لي: محلنا، والنفقة من عندنا، وأنت **فضولي**، ما هذا الذي تقترح؟ اصبر مكانك حتى يؤذن لك، فبقيت طول ليلتي أتقلى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا. فلما انشق الصبح إذا به طلع وطلعت الجارية في أثره، فأسرعت إليه وخرجت تعدو ولم تخاطبني، فكانت أعظم حسرة نزلت بي.." [2]

"لو أراد الإله بالأرض خصبا ... ما تغنى من فوقه محمود

كلما أنبتت يسيرا من العش ... ب وغنى عليه غطى الجليد

وأنشدني أبو المعالي الكتبي، قال: أنشدني محمد ابن جارية القصار لنفسه، ونقلتهما من خطه:

وأدهم اللون ذي حجول ... قد عقدت صبحه بليله

كأنما البرق خاف منه ... فجاء متمسكا بذيله

وأتحفني الشيخ أبو المعالي الكتبي بكراسة من شعره بخطه، ورواه لي عنه. فمن ذلك قوله من قصيدة:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٢٧/٦٤

(٢) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/١٦٧

وصاحب سمته استرفاق مهلته ... بأن يدوم له رقي على الزمن

وما تحملت عبأ من قوارصه ... على وقوفي إلا ليحملني

وقوله في كتاب الديوان:

الى كم أصون لساني ولا ... تصونون أعراضكم بالجميل

وكم تحفظوني ولا تحفظو ... ن مكاني وأدرأ عنكم فضولي

فأقسم إن خف حلمي لكم ... وهمت عواطفه بالرحيل

لأنتصفن منكم للقريض ... وللآملين ولابن السبيل

وقوله يستهدي مدادا:

إليك اشتكائي يا ابن الكرا ... م شيب دواتي قبل الهرم

وشيب الدوي كما قد علم ... ت يعدل في القبح شيب اللمم

فمر بخضاب كفيل برد ... شباب ذوائبه المنعدم

وقوله في ذم الشيب:

أكره فودي أن يشيب وإن ... قال جهول في الشيب توقير

المرء بدر والشمس شيبته ... وما له في شعاعها نور

وقوله في تمني الشيب:

من خاف إن شاب هجران الحسان وإص ... حار النعيم ورفض الكأس والنغم

فلي الى الشيب شوق ما ينهنهه ... سعي للقياه من عمري على قدم

ما أرغد الدهر عيشي في الشباب ولا ... أحلى فأبكي شبابي حالة الهرم

وقوله من قصيدة:

راجع أناتك أيها الغريد ... هذا الفراق وما القلوب حديد

واستوقف العيس المراسل تدخر ... أجرا فما تعيي عليك البيد

إن كنت تخشى من ترفع خمسها ... ظمأ فمنهل مقلتي مورود

أو كان يعجلك المراد فإن لي ... نفسا يعيد الروض وهو صعيد

عل البخيلة أن تجود بنظرة ... ولقد يجود بمائه الجلمود

إن كان موعدنا برامة غاله ... خلف فهذا موعد وزرود

ومنها:

وأراكة نشرت ذوائبها الصبا ... حتى تعقد ظلها الممدود

ومنها في المدح:

سود الأثافي وهو عام أشهب ... بيض الأيادي والنوائب سود

وله:

الى كم أعلل بالباطل ... ولا أستقر على حاصل

وأدفع من باخل لا يدين ... بدين السماح الى باخل

يصون برض جبان الفؤاد ... حمى عرض بطل باسل

أحليه بالدرر المثمنات ... وأرجع بالأمل العاطل

ومنها:

إذا كان حظ الفتى صاعدا ... فلا بأس بالأدب النازل

أحذقا ورزقا لقد رمت ما ... يزيد على أمل الآمل

هما خلفان فهذا المقي ... م يعقب من ذلك الراحل

لقد ألجأتني صروف الزمان ... لحكم ضرورتها الحامل

الى معشر قد أتموا الرضا ... ع من ضرع لؤمهم الحافل

شيوخهم بعد لم يفطموا ... وعالمهم ضحكة الجاهل

صدور ولكن أعجازهم ... صدور لوخز القنا الذابل

وقوم رأوا أنني شاعر ... فلم يرفعوني عن الخامل

ولم يعلموا ما رواة القري ... ض عندي من آلة الكامل

وما غاية الفضل نظم القريض ... ولكنه نفثة الفاضل." (١)

"قال العماد: أذكره وقد وصلت إليه خلعة مصرية وجائزة سنية، فأخرج القميص الدبيقي إلى السوق فبلغ دون عشرة دنانير، فقال: قولوا هذا قميص ملك كبير أهداه إلى ملك كبير ليعرف الناس قدره فيحلوا عليه البدر على البدار، وليجلوا قدره في الأقدار، ثم قال: أنا أحق به إذا جهلوا حقه، وتنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٤٩/١

ومن طريف ما يحكى عن ملك النحاة أن نور الدين محمودا خلع عليه خلعة سنية ونزل ليمضي إلى منزله، فرأى في طريقه حلقة عظيمة، فمال إليها لينظر ما هي، فوجد رجلا قد علم تيسا له استخراج الخبايا، وتعريفه من يقول له من غير إشارة، فلما وقف عليه ملك النحاة قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر، ملك في زي سوقة، أعلم الناس وأكرم الناس وأجمل «١» الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال:

استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طرقي؟! فقال: يا مولانا عذري في ذلك واضح لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك، فضحك منه نور الدين وسكت.

وحكي عنه أنه كان يستخف بالعلماء، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول: هو كلب من الكلاب، فقال رجل يوما: فلست إذا ملك النحاة، إنما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضبا وقال: أخرجوا عني هذا **الفضولي**.

وقال السمعاني: دخل أبو نزار بلاد غزنة وكرمان، ولقي الأكابر وتلقي مورده بالإكرام، ولم يدخل بلاد خراسان، وانصرف إلى كرمان وخرج منها إلى الشام.

قال: وقرأت فيما كتبته بواسط ولا أدري عمن سمعته لأبي نزار النحوي «٢» :

أراجع لي عيشي الفارط ... أم هو عني نازح شاحط

ألا وهل تسعفني أوبة ... يسمو بها نجم المنى الهابط

أرفل في مرط ارتياح وهل ... يطرق سمعي: هذه واسط." (١)

"البيمارستانات ودكاكين الصيادلة اثنان وعشرون بابا وتوفي نصرانيا في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين.

سلمويه بن بنان كان طبيبا فاضلا في وقته خدم المعتصم وخص به حتى أن المعتصم لما مات سلمويه سألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي ولما ملك المعتصم في سنة ثماني عشرة ومائتين اختار لنفسه سلمويه هذا وأكرمه.

وقال حنين أن سلمويه كان عالما بصناعة الطب ولما مرض عاده المعتصم وبكى عنده وقال له أشر علي بعدك بمن يصلحني فقال عليك بهذا **الفضولي** يوحنا بن ماسويه وإذا وصف شيئا فخذ أقله أخلاطا ولما

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢/٨٧٠

مات امتنع المعتصم عن الأكل في ذلك اليوم وأمر بإحضار جنازته إلى الدار وأن يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى ففعل ذلك وهو يراهم وكان المعتصم قويا وكان سلمويه يقصده في السنة مرتين ويسقيه عقيب كل فصد دواء فلما باشره يوحنا أراد عكس ما كان يفعله سلمويه فسقاه الدواء قبل الفصد فلما شرب الدواء حمي دمه وحم وما زال جسمه ينقص حتى مات وذلك بعد عشرين شهرا من وفاة سلمويه. وكانت بين الحسين بن عبد الله وبين سلمويه مودة فقال دخلت عليه يوما فوجدته قد خرج من الحمام وهو متململ والعرق يسيل من جبينه فجلس وجاءه خادم بمائدة صغيرة عليها دراج مشوي وشيء أخضر في زبدية وثلاث رقاقات وفي سكرجة خل فأكل الجميع واستدعى مقدار وزن درهمين سرابا فمزجه وشربه وغسل يده بماء ثم أخذ في تغيير ثيابه والبخور أقبل يحادثني فقلت له ما صنعت فقال أنا أعالج السل منذ ثلاثين سنة لم آكل في جميعها غير ما رأيت وهو دراج مشوي وهنديا مسلوقة مطجنة بدهن اللوز وهذا المقدار من الخل." (١)

"بالخريبي

قال فكنت أوتي بالقثاء وهو قثاء دقيق في دقة الأصابع وطول القثاءة منه نحو من فتر فآكل منه الخمس والست والسبع فكثر علي الإسهال فشكوت ذلك إليه فلم يكلمني حتى حقنني بحقنة كثيرة الشحوم والصموغ والخطمي والأرز الفارسي وقال لي كدت تقتل نفسك بإكثارك من القثاء على الريق لأنه كان يحدر من الصفراء ما يزيل عن الأمعاء من الرطوبات اللاصقة بها ما يمنع الصفراء من سحجها وأحداث الدوسنطاريا فيها

ولماسرجويه من الكتب كناش كتاب في الغذاء كتاب في العين

سلمويه بن بنان متطبب المعتصم

لما استخلف أبو إسحق محمد المعتصم بالله وذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين اختار لنفسه سلمويه الطبيب وأكرمه إكراما كثيرا يفوق الوصف وكان يرد إلى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه وكل ما كان يرد على الأمراء والقواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فبخط سلمويه

وولى أخا سلمويه إبراهيم بن بنان خزن بيوت الأموال في البلاد وخاتمه مع خاتم أمير المؤمنين

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/ ١٦٠

ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه إبراهيم في المنزلة

وكان سلمويه بن بنان نصرانيا حسن الاعتقاد في دينه كثير الخير محمود السيرة وافر العقل جميل الرأي

وقال إسحق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة قال أخبرني يوحنا بن مساويه عن المعتصم أنه قال سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة لأن هذا يحكم في نفسي ونفسي أشرف من مالي وملكي ولما مرض سلمويه الطبيب أمر المعتصم ولده أن يعوده فعاده

ثم قال أنا أعلم وأتيقن إني لا أعيش بعده لأنه كان يراعي حياتي ويدبر جسمي ولم يعش بعده تمام السنة

وقال إسحق بن حنين عن أبيه أن سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب

وكان المعتصم يسميه أبي

فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده وقال تشير علي بعدك بما يصلحني فقال سلمويه يعز علي بك يا سيدي ولكن عليك بهذا **الفضولي** يوحنا بن ماسويه وإذا شكوت إليه شيئا فقد يصف فيه أوصافا فإذا وصف فخذ أقلها أخلاطا

فلما مات سملويه امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته وأمر بأن تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل

ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته وحزن عليه حزنا شديدا

وكان المعتصم الهضم في جسمه قوي وكان سلمويه يفصده في السنة مرتين ويسقيه بعد كل مرة دواء مسهلا ويعالجه بالحمية في أوقات

فأراد يوحنا بن ماسويه." (١)

"عن العفيف بن سران احد التجار الواردين الى عدن من بغداد قال الزمني الملك المظفر انظر في وقف عدن ومن جملته وقف في لحج على المدرسة المنصورية صرت لا اخرج لمباشرته بل اكتب الى حاكم لحج يكفيني مع الكتاب مؤنة التفريط فكتب بعض **الفضوليين** الى المظفر يخبره بذلك فشق عليه وكتب إلي يقول بلغني انك اهملت الوقف وحتى انك اضربت لا تخرج الى لحج بل تركن على الكتاب قال فكتبت اليه اعتذار وقلت أني إذا أبعث الكتاب ثم لم أبقهم حتى اكتب الى قاضي لحج يباشر معهم قال فعاد جوابه إلي يقول لي الكتاب لصوص وقاضي لحج ألص منهم تحسبه ابن الجنيد نفع الله به ولما دخل بعد القاضي العنسي وكان له على الكتاب والوكلاء وظيفة يصلونه بها فوصل الكاتب الى ابن الجنيد بشيء

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٢٣٤

جمعه له جنس فقال له من اين لك هذا فاخبره بالعادة الجارية مع العنسي فقال لا حاجة لي بشيء من ذلك واحذرك انت ان تأخذ او واحد من اصحابك من الناس شيئا يزيد على الواجب من الاخرة وان تستريبوا احدا من الناس فلا تلقون معي خيرا واخرجكم عن البلد صاغرين ثم متى وصلتم إلي بشيء من هذا نكلت بكم فاعلم اصحابك بذاك واتقوا الله بنفوسكم والناس فخرج الكاتب الى اصحابه وقد ملىء رعبا واخبرهم بما تم ذلك وانقطع بذالك طمعهم عن الناس وانقطع ذلك عن الحكام في مدته ثم مدة ابن عباس ورايت من الناس من يتوقف في غيرهما ودخل المظفر عدن فسأل عنه فاثنى عليه التجار ثناء مرضيا حتى نبل في قلبه ثم حدث امر اوجب طلبه الى حضرة السلطان فامر له من طلبه فوصل الرسول وعليه ثياب البدله وثيابه مع المصبن فعاد الرسول واعلم المظفر بذلك فازداد عنده نبلا ومكانة وقال قد لهذا الحاكم المدة وهو لا يملك الا بدلة ان هذا لامر عظيم ثم حضر القاضي البهاء فسأله وقال يا." (١)

"حدث عنه: محمد بن أحمد بن حيان الأوسي، وطائفة.

وذكره أبو جعفر بن الزبير، وقال: هو محدث بارع، حافل، ضابط، متقن، وكاتب (١) بليغ، وأديب حافل حافظ.

روى عن: أبيه كثيرا ... ، وسمى جماعة ... ، إلى أن قال: واعتنى بباب الرواية اعتناء كثيرا، وألف (معجمه) وكتاب (تحفة القادم) ، ووصل (صلة) ابن بشكوال، عرفت به بعد تعليقي هذا الكتاب بمدة -يعني كتاب (الصلة) لابن الزبير-.

قال: وكان متفننا متقدما في الحديث والآداب، سنيا، متخلقا فاضلا، قتل صبرا ظلما وبغيا، في أواخر عشر ستين وست مائة.

قلت: كان بصيرا بالرجال المتأخرين، مؤرخا، حلو التترجم، فصيح العبارة، وافر الحشمة، ظاهر التجمل، من بلغاء الكتبة، وله تصانيف جمة منها (تكملة الصلة) في ثلاثة أسفار، اخترت منها نفائس.

انتقل من الأندلس عند استيلاء النصارى، فنزل تونس مدة، فبلغني أن بعض أعدائه شغب عليه عند ملك تونس، بأنه عمل (تاريخا) وتكلم في جماعة، وقالوا: هو فضولي يتكلم في الكبار، فأخذ، فلما أحس بالتلف، قال لغلامه: خذ البغلة لك، وامض حيث شئت.

فلما أدخل، أمر الملك بقتله، فنعوذ بالله من شر كل ذي شر، هذا معنى ما حكى لي الإمام أبو الوليد ابن الحاج -رحمه الله- من قتله.

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجندي، بهاء الدين ٢/٢٢٤

ومن تواليفه (الأربعون) عن أربعين شيخا من أربعين تصنيفا لأربعين

(١) في الأصل: " وكان بليغ " وهو سهو.." [١]

"وقيل له: إن هلال رمضان ثبت البارحة، فقال: من رآه؟ فقالوا: مجد الدين الميت، فقال: هذا ميت وفضولي، ويخلط شعبان في رمضان.

وحضر عند الصاحب شمس الدين ليلة، فلما أحضرت الحلوى وجاء البابا بالفوطة والماوردية ورش على يده، فأخذ الماورد ومسح به عينيه وقال: الحلوى رأيتها بعيني، وأما بيدي فما لمستها، لأن الصاحب كان قد أشغله بالحديث عنه حتى فرغت، فضحك الصاحب وأحضر له حلوى تخصه.

وحكى لي الأمير شرف الدين حسين بن جندر قال: جرى الحديث بيننا يوما في حضرة الأفرم، فقلت المثل المشهور: " فقلت اصفعوني وردوا شبابي "، فقال: والله الأولى نقدر عليها الساعة والأخرى ما يقدر عليها إلا الله تعالى.

ونظر ولده يوما في حضرة الأفرم وهو واقف قدامه إلى بعض الفقهاء وقد لبس بابوجا أزرق، فتعجب ولده من ذلك فقال: لا تعجب منه، هذا نصراني مقلوب.

ووجدوه يوما في الصيف وعليه فروة سنجاب، فقالوا: يا ملك في الصيف بفروة؟ فقال: أنا ما ألبس بالفصول، إلا إذا بردت لبست الفروة.

وكان من أخص الناس بالشيخ كمال الدين الزملكاني، وكان إذا وقع بينه وبينه ركب فرسه ودار على أصحابه ومعارفه وقال: قد وقع بيني وبين ابن الزملكاني فلا تسمع في ما يقول، وكذلك يفعل الآخر.

ودخل إليه الأمير شرف الدين حسين بن جندر يعوده في مرضه، وكان قد طلب إلى الديار المصرية وأخذ معه ثلاث مئة درهم فقال: هذه برسم الطبيب، فقال: بالله." [٢]

"المقدمة التاسعة

نوادر العميان

قال بعضهم لبشار بن برد: ما أذهب الله كريمتي مؤمن إلا عوضه الله خيرا منهما. فبم عوضك؟ قال: بعدم رؤية الثقلاء مثلك.

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٣/٣٣٧

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤/٥٥٤

وقال بعضهم: يقال إن أهل هيت يكون أكثرهم عورا. فرأيت رجلا منهم صحيح العينين. فقلت له: إن هذا لغريب! فقال يا سيدي إن لي أخا أعمى قد أخذ نصيبه ونصيبي.

يقال: إن رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة: فقالت له: رزقت أحسن الناس وأنت لا تدري. فقال لها: يا بظراء! أين كان البصراء عنك قبلي؟ قال بعضهم: نزلت في بعض القرى وخرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة ومعه سراج. فقلت له: يا هذا؟ أنت والليل والنهار عندك سواء! فما معنى السراج؟ فقال: يا فضولي! حملته معي لأعمى البصيرة مثلك، يستضيء به. فلا يعثر بي فأقع أنا وتنكسر الجرة.

قيل إن الأعمش كان يقوده النخعي، وهو أعور. فيصيح بهما الصبيان: عين بين اثنين. فكان النخعي إذا انتهى إلى مجامعهم خلى عنه: فقال له الأعمش: ما عليك؟ يأثمون وتؤجر. فقال النخعي أن يسلموا ونسلم.

قالت لأبي العيناء قينة يوما: يا أعمى! فقال لها: ما استعين على وجهك بشيء أصلح من العمى.

وسمع محمد بن مكرم رجلا يقول: من ذهب بصره، قلت حيلته. فقال له: ما أغفلك عن أبي العيناء؟ وقال المتوكل يوما: لولا ذهاب بصر أبي العيناء لنادمته؟ فبلغه ذلك. فقال: قولوا له إن أعفيتني من قراءة نقوش الخواتيم ورؤية الأهلة صلحت لغير ذلك. فبلغ المتوكل ذلك فضحك ونادمه.." (١)

"أن عبد المؤمن وبنيه غيروا سيرته فقام في قوم من البربر يعرفون بمزالة فخطبوا له واتبعوه ثم خافوا عاقبة ذلك لما طلب منهم فأشاروا عليه أن يختفي حتى يجد موضعا يحميه فرجع إلى بلاد الجزيرة بالأندلس وأراد أن يظهر دعوته في جبال جزيرة الخضراء وخاطبهم في ذلك وانتسب إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه فقالوا هذا يريدنا لأمر تذهب فيه أموالنا وأرواحنا ولو كلفنا سعد بن عبادة هذا لم نلتفت إليه فأيس منهم وصار إلى جهة بسطة فقعد في مسجد وأتاه أصحابه ببطيخ فجعلوا يأكلونه ويرمون قشوره في المسجد فقال لهم رجل كان هنالك ما رأيت أبعد منكم عن مروءة الدنيا والدين قالوا وكيف ذلك قال أكلتم البطيخ وليس في المسجد غيري فلم تعرضوا علي فعلمت أنكم لؤماء ورأيتكم ترمون قشور البطيخ في بيت الله فعلمت أنكم مستخفون بحرمته فتردد فكري في أن تكونوا جهالا أو زنادقة فقالوا له لم يكن لك في الطعام نصيب فيلزمن دعاؤك فأنت إذا طفيلي وبيت الله لعباده كلهم وقشور البطيخ طاهرة فأنت إذا فضولي فعلا الكلام بينهم وكثر الصخب وأنكرتهم العامة فرفعوهم إلى الوالي فبينا الوالي يكشف أحوالهم إذ وصله كتاب بأن الجزيري وأصحابا له قد صاروا إلى جهتك فبث العيون عليهم واستقر مظان اختفايهم فلعل الله يظفرك

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٤٨

بهم ويطهر منهم البلاد والعباد فقال الوالي الله أكبر هذه حاجة أمير المؤمنين ثم قرأ إن ينصركم الله فلا غالب لكم الآية وقال لهم كيف رأيتم استخفافكم ببيت الله وسوء أدبكم معه وأنفذ بهم فضربت أعناقهم بعد ما كان الجزيري قد اشتهر أمره وعظم في النفوس قدره فاهتم بأمره بنو عبد المؤمن وجعلوا عليه العيون في جميع بلادهم وحصل في الأنفس منه أنه يتصور بصور الحيوانات المختلفة)

فكانت العوام يرجمون الكلاب والسنانير توهما أنه تصور بصورة واحدة من تلك الحيوانات ومن شعره

(في أم رأسي سر ... يبدو لكم بعد حين)

(لأطلبن مرادي ... إن كان سعدي معيني)

(أو لا فأكتب ممن ... سعى لإظهار دين)

ابن غطوس الناسخ محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج أبو عبد الله ابن غطوس بالغين المعجمة والطاء المهملة المشددة والواو الساكنة والسين المهملة على وزن سفود الأنصاري الأندلسي البلنسي الناسخ قال ابن الأبار انفرد في وقته بالبراعة في كتابة المصاحف ونقطها يقال إنه كتب ألف مصحف ولم يزل الملوك والكبار ينافسون فيها إلى اليوم وقد كان آلى على نفسه ألا يكتب حرفا إلا من القرآن وخلف أباه وأخاه في هذه الصناعة قلت أخبرني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن الصياد الفاسي بصفد سنة ست وعشرين وسبع مابة أنه كان له بيت فيه آلة النسخ والرقوق وغير ذلك لا يدخله أحد من أهله يدخله ويخلو بنفسه وربما قال لي إنه كان يضع المسك في الدواة وكان مصحفه لا يهديه إلا بمايتي دينار وإن إنسانا جاء إليه من بلد بعيد مسافة أربعين يوما أو قال أكثر من ذلك وأخذ منه مصحفا ولما كان بعد مدة فكر في أنه وضع نقطا أو ضبطا على بعض الحروف في غير موضعه وأنه سافر إلى تلك." (١)

"الملك الكامل الأمير محمد بن عبد الملك الصالح ابن العادل الأيوبي سبط السلطان الملك الكامل وابن خالة صاحب الشام الناصر يوسف وابن خالة صاحب حماة

ولد سنة ثلاث وخمسين وحدث عن ابن عبد الدائم وكان ذكيا خبيرا بالأمور فيه انبساط كثير ولطف وافر وله النوادر في التنديب الحلو الداخل وهي مشهورة بين أهل دمشق نادم الأفرم نائب دمشق توجه معه مرة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣/٢٨٠

إلى الصعيد فلما ضرب الحلقة وفرغ منها أحضر الأمراء ما صادوه على العادة في ذلك فقال له الأفرم وأنت يا ملك ما رميت شيئاقال نعم الكف الذي كان معلق في الحياصة وقيل له يوما إن هلال شهر رمضان ثبت البارحة فقال من رآهقالوا له فلان وهو من عدول دمشق يعرف بالميت فقال هذا ميت وفضولي ويخلط شعبان برمضان وحضر عند الصاحب شمس الدين ليلة مولد فلما أحضرت الحلى اشتغل هو بالحديث مع الصاحب وأكل الحاضرون الحلوى وحضر بعد ذلك البابا بالفوطة والماورد ورش على يده فأخذه ومسح به عينيه وقال يا مهتار الحلوى رأيتها بعيني وأما يدي فما مستها فضحك الصاحب وأحضر له حلوى تخصه وكان من كبار أمراء دمشق أوصى عندما توفي أن يدفن عند أبيه بتربة الكامل فما مكن ودفن بتربة جدتهم أم الصالح وله أولاد أمراء لم يزل هو وهم في ديون ضخمة من كرمهم وتبذيرهم

وكانت وفاته سنة سبع وعشرين وسبع مائة)." (١)

"٣ - (الأمير ابن مقن)

محمد بن مقن بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيأ أبو عبد الله الأمير كانت إليه الإمارة بسامرا وأعمالها وكان أديبا شاعرا من بيت إمارة وتقدم ذكره الوزير أبو سعد محمد بن الحسين في كتاب أخبار الشعراء كان فيه شح وإمساك وكان إذا فرغ من طعامه نثر الخبز في الجفان وخلطه بالماء الحار وصب عليه الأمراق الحامضة والحلوة الباردة والحارة ويحضر الضعفاء للأكل فقيل له لو أفردت كل طعام لكان أحب إليهم فقال هذا لا يأكله إلا مضطر إليه وإذا ميزنا الأطعمة رغب فيها من لا حاجة له بها ومن شعره

(يهيج علي الشوق بعد اندماله ... حمام على شرف القصور جنوح)

(حمام يغني بالعشي وبالضحى ... ويهتف أحيانا به وينوح)

(وذكرني ما قد نسيت ولم أكن ... أبوح فأصبحت الغداة أبوح)

)

حدث أبو الحسن ابن الصناديقي البزاز قال قلت له يوما أيها الشيخ الأمير بالذي يغفر ذنبك وكان يحب أن يدعى له بذلك أنت فيمن قلع الحجر الأسود فأمسك وكررت عليه القول وكان في الموضع غليم من صبيان البادية فقال الحق بأهلك يا غليم وأخذ بكتفي وجعل يضرب رأسي بعمود البيت ويقول كنت فيمن

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤/٣٦

رده يا **فضولي** ويكرر القول والفعل

٣ - (ابن مكرم)

محمد بن مكرم الكاتب له مع أبي العيناء ومع أبي علي البصير أخبار مشهورة قال لأحمد بن إسرائيل عند تقلده وزارة المعتز يشكو لصوصا دخلوا عليه

(يا أبا جعفر اسمع ... قول محروب حريب)

(عجب الناس وما جو ... ر زمان بعجيب)

(من لصوص تركوني ... بين أهلي كالغريب)

(تركوني بعد خصب ال ... حال في عيش جديب)

(فأغث لهفان يا ذا ال ... جود بالباع الرحيب)

(بجميل النظر المج ... دي على كل أديب)

فلم يحظ منه بطائل فقال يهجوه

(إن زمانا أنت مستوزر ... فيه زمان عسر أنكد)

(يا لبد الدهر ويأجوجه ... أنت كنوح عمره سرمد)." (١)

"مذهب الشافعي مجلدتان مختصر في أصول الدين المقامات حذا فيها حذو الحريري ديوان شعره

قال ابن يعيش النحوي كان لأبي نزار غلام سيئ العشرة قليل المبالاة بمولاه أرسله يوما)

في حاجة وأبطأ عليه وجاء بغير عذر جميل وكان بحضرته جماعة من أصحابه وتلاميذه فغضب أبو نزار وخرج عن حد الوقار وقال له ويلك أخبرني ما سبب قلة مبالاتك بي أنكتك قط فبادر الغلام وقال عجلا لا والله يا مولاي معاذ الله أن تفعل ذلك قال ويلك فنكتني قط فحرك الغلام رأسه بتعجب من كلامه وسكت فقال ملك النحاة أدركني ويلك بالجواب فما هذا موضع السكوت لا رعاك الله يا ابن الفاعلة عجل

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٦/٥

قل ما عندك قال لا والله قال فما السبب في أنك لا تقبل قولي ولا تسرع في حاجتي فقال له إن كان سبب الانبساط لا يكون إلا هذين فأعدك ألا أعود لما تكره

وكان ملك النحاة مطبوعا متناسب الأحوال والأفعال يحكم على أهل التمييز بحكم ملكه فيقبل ولا يستثقل

وكان يقول هل سيبويه إلا من رعيتي ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي مر الشتيمة حلو الشيمة يضم يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليدين مولع باستعمال الحلاوات السكرية وإهدائها إلى جيرانه

وخلع عليه نور الدين محمود يوما خلعة سنية فمضى بها إلى منزله فرأى في طريقه حلقة مجموعة على تيس يخرج الخبايا فلما وقف عليه للفرجة قال معلم التيس قد وقف في حلقتي رجل عظيم القدر شائع الذكر ملك في زي سوقة أعلم الناس وأكرمهم وأجملهم فأرني إياه

فشق ذلك التيس الناس وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة فلم يتمالك أن ألقى عليه تلك الخلعة فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال استخفافا فعلت هذا بخلعتنا فقال عذري في ذلك واضح لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس فما فيهم من عرفني إلا هذا التيس فجازيته على ذلك فضحك نور الدين منه

وكان إذا ذكر أحد من النحاة يقول كلب من الكلاب فقال له رجل يوما فحينئذ أنت ملك الكلاب لست ملك النحاة فاستشاط غضبا وقال أخرجوا عني هذا الفضولي

وعضت يده يوما سنورة فربطها بمنديل فقال فتيان بن علي بن فتيان النحوي الأسدي من المتقارب

(عتبت على قط ملك النحاة ... وقلت أتيت بغير الصواب)

(عضضت يدا خلقت للندى ... وبث العلوم وضرب الرقاب)

(فأعرض عني وقال اتئد ... أليس القطاط أعادي الكلاب)

(

فبلغته فاستحيى فتيان وانقطع عنه فكتب إليه ملك النحاة جوابا عن أبيات يعتذر فيها من الخفيف." [١]

"حلال وهذا حرام والدين أشرف من النفس لأن ذهاب النفس مع بقاء الدين أحمد في العقبى وذهاب الدين مع بقاء النفس شر في العقبى في العقبى فظهر بما قاله المعتصم أن القاضي أكبر من الطبيب وكان

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٨/١٢

ما قاله المعتصم فاسد الدليل على أنني أرى هذه من موضوعات الأطباء لأنفسهم وإلا فقد كان القاضي أحمد بن أبي دؤاد عند المعتصم بالحل الأسنى والمكان الأرفع على ما هو معروف انتهى واعتل سلمويه وعاده المعتصم وبكى عنده وقال له تشير علي بعدك بما يصلحني فقال له عليك بهذا **الفضولي** يوحنا ابن ماسويه وإذا شكوت إليه ووصف لك أوصافا فخذ أقلها أخلاطا قال ابن أبي أصيبعة ولما مات سلموية امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته وأمر بأن تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على ذي الأنصاري الكامل ففعل ذلك وهو بحيث يبصرهم قال وكان الهضم في جسد المعتصم قويا وكان سلمويه يفصده في السنة مرتين ويسقيه بعد كل مرة دواء مسهلا ويعالجه بالحمية في أوقات فأراد ابن ماسويه أن يريه غير ما عهد فسقاه دواء قبل الفصد وقال أخاف أن تتحرك عليك الصفراء فعندما شرب الدواء حمي جسمه وما زال جسمه ينقص والعلل تتزايد إلى أن نحل بدنه ومات بعد سلموية بعشرين شهرا وكانت وفاة المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين)

٣ - (أبو صالح الليثي)

سلمويه النحوي الليثي أبو صالح أحد أصحاب السير والأخبار له كتاب الفتوح لخراسان وهو كتاب الدولة (سلمان)

٣ - (سلمان الفارسي)

سلمان أبو عبد الله الفارسي الرامهرمزي الأصبهاني سابق الفرس إلى الإسلام رضه

صحب النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وروى عنه ابن عباس وأنس وعقبة ابن عامر وأبو سعيد وكعب بن عجرة وعبد الله بن أبي زكرياء الدمشقي وغيرهم وتوفي سنة ست وثلاثين للهجرة روى له الجماعة وكان قد صحب ثلاثة أو أربعة ممن كانوا متمسكين بدين المسيح عليه السلام وأخبره الأخير عن مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ثم استرقته العرب فتداوله بضعة عشر سيدا حتى كانت مكاتبته فكان ولاؤه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يوم الأحزاب سلمان منا أهل البيت وآخى بينه وبين أبي الدرداء وقيل إنه الذي أشار بحفر." (١)

"وكتاب التشبيهات وكتاب من أصيب وابتدأ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وغير ذلك

نقلت من خط شهاب الدين القوصي في معجمه قال أنشدني لنفسه من البسيط

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩٢/١٥

(إني لأعجب من حبي أكتمه ... جهدي وجفني بفيض الدمع يعلنه)

(وكون من أنا أهواه وأعشقه ... يخرب القلب عمدا وهو مسكنه)

(وأعجب الكل أمرا أن مبسمه ... من أصغر الدر جرما وهو أثمنه)
قلت وأنشدني لنفسه أيضا من الرجز
(كم من دم يوم النوى مطلول ... بين رسوم الحي والطلول)

(بانو فلا جسم ولا ربع لهم ... إلا رماه البين بالنحول)

(يا راحلين والفؤاد معهم ... مسابقا في أول الرعيل)

(ردوا فؤادي إنه ما باعكم ... إياه إلا طرفي **الفضولي)**

(ورب ظبي منكم يخاف من ... سطوة عينيه أسود الغيل)

(أنار منه الوجه حتى كدت أن ... أقول لولا الدين بالحلول)

(ينقص بالعلة كل كامل ... في الحسن غير لحظه العليل)
وقال في بدائع البدائه اجتمعا ليلة من ليالي رمضان بالجامع وجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد وفد فانوس السحور فاقترح بعض الحضور على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي بن الرقاب المنبوز بالنعجة أن يصنع قطعة في فانوس السحور وإنما طلب بذلك إظهار عجزه فصنع من الطويل
(ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه ... ولكنه دون الكواكب لا يسري)

(ولم أر نجما قط قبل طلوعه ... إذا غار ينهى الصائمين عن الفطر)
فانتدبت له من بين الجماعة وقلت له هذا التعجب لا يصح لأني والحاضرين قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعدد إذا غارت نهي الصائمون عن الفطر وهي نجوم)

الصباح فأسرف الجماعة بعد ذلك في تقريعة وأخذوا في تمزيق عرضه وتقطيعه فصنع أيضا من البسيط

(هذا لواء سحور يستضاء به ... وعسكر الشهب في الظلماء جرار)." (١)

"(وغادة مختالة كأنها الغزالة ... وملؤها ملالة وعينها النبالة)

(تجيء للكئيب ... في حبيش)

(قامتها كالصعدة وريقها كالشهدة ... وخدها كالوردة إن الحرير عنده)

(في المطرف القشيب ... كالخيش)

(لا تصغ للمحال واعشق ولا تبالي ... واشرب من الجريال فالرشد في الضلال)

(والعقل للبيب ... في الطيش)

(عانقني خليلي حتى ارتوى غليلي ... وقلت للعذول لما أتى **فضولي**)

(عانقت أنا حبيبي ... وانت أيش)

٣ - (سديد الدين الكاتب المصري)

هبة الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن حسن سديد الدين أبو القاسم الأنصاري المصري الكاتب الأديب ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وسمع من أشياخ عصره وتقلب في الخدم الديوانية وتوفي سنة خمسين وستمائة

٣ - (عميد الرؤساء الحلي وجه الدويبة)

هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن ايوب أبو منصور عميد الرؤساء اللغوي من الحلة المزيدية كان أديبا فاضلا نحويا رغويا شاعرا تصدر ببلده وعنه أخذ أهلها قرأ هو على ابن العصار وأبي العز بن الخراساني وأول ما قرأ على خزيمة بن محمد بن خزيمة وورد إلى بغداد وتوفي سنة عشر وستمائة وفيه يقول

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٠٧/٢١

الحسين بن البغيديدي يهجوه وكان يعرف بوجه الدويبة وينسب إلى التطفل

(ليت شعري وجه الدويبة ... صخر ليس يندى من فعله أم ساج)

(ما كفى الناس ما بهم منه حتى ... صار يغشاهم ومعه السراج)

(وطعام على طعام عليه ... عند بقراط لا يصح المزاج)

(يا عميدا وموضع الميم نون ... لا تخلط يعرض لك الانفلاج)
)

(كن خفيف الغدا وإلا تأذي ... ت بداء يطول فيه العلاج)

(قد تفردت بالفعال الذي ... للكلب من فعله القبيح انزعاج)

(خارجا داخلا إلى ذا وعن ذا ... والطفيلي داخل خراج)

(وإذا زرت لا تزر بجنيب ... لا يصح الطاعون والحجاج)." [١]

"بانوا فلا جسم ولا ربع لهم ... إلا رماه البين بالنحول

يا راحلين والفؤاد معهم ... مسابق في أول الرعيل

ردوا فؤادي إنه ما باعكم ... إياه إلا طرفي الفضولي

ورب ظبي منكم يخاف من ... سطوة عينيه أسود الغيل

أنار منه الوجه حتى كدت أن ... أقول، لولا الدين، بالحلول

ينقص بالعلة كل كامل ... في الحسن غير لحظه العليل وقال في " بدائع البدانة " (١) : اجتمعنا ليلة من ليالي رمضان بالجامع، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث، وقد وقد فانوس السحور، فاقترح بعض الحضور (٢) على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي المعروف (٣) بالنعجة أن يصنع قطعة من فانوس السحور، وإنما طلب بذلك إظهار عجزه، فصنع:

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٥٣/٢٧

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه ... ولكنه دون الكواكب لا يسري

ولم أر نجم قط قبل طلوعه ... إذا غاب ينهي الصائمين عن الفطر فقلت له: هذا التعجب لا يصح؛ لأنا قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعدد إذا غارت تنهي (٤) الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح، فأسرف الجماعة في تقريعه، وأخذوا في تمزيق عرضه وتقطيعه، فصنع أيضا:

هذا لواء سحور يستضاء به ... وعسكر الشهب في الظلماء جرار

والصائمون جميعا يهتدون به ... كأنه علم في وسطه نار ولما أصبحنا سمع من كان غائبا من أصحابنا ما جرى بيننا، فصنع الرشيد

---

(١) انظر بدائع البدائه: ٢٧٢.

(٢) بدائع: الحاضرين.

(٣) بدائع: المنبوز.

(٤) ر: نهي.." [1]

"(لا تبكين ماء تسنه ... ودع الرسوم المستجنه)

(خل ادكارك فالعيون ... كليلة آثار دمنه)

(واهجر غزالا نار خديه ... إذا حققت جنه)

(وسنان كم نبهته ... والعجب يطبق منه جفنه)

(متغافل أدعوه من ... وجد إذا ما الليل جنه)

(في النفس حاجات إليك ... من الوصال وفيك فطنه)

(فرض على العين البكا ... إذ لحظه للفتك سنه)

(أحوى بديع الحسن ظبي ... في الحقيقة أو كأنه)

(وله معاطف ما دعا ... هن الصبا إلا أجبنه)

(هذا وذا مع أنه ... لم يلتفت يوما لأنه)

(ويخاف من واش له ... عين مراقبه الأكنه)

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢٨/٣

(وفم فضولي تقل ... الرجل منه راس فتنه)

(بكر العواذل في الغرام ... يلمنني وألومهنه)." (١)

"كل مطعوم، وهو رواية عن أحمد، وقال في القديم: العلة الطعم مع تقدير الكيل والوزن، وهو رواية عن أحمد أيضا.

وعن أحمد رواية ثالثة، كقول أبي حنيفة، وهي الجنس مع الكيل فيتعدى إلى الجص، والنورة، والأشنان، ونحو ذلك، وقال مالك: العلة فيها كونها مقتاتة، والله أعلم.

وقال الشافعي: لا يجوز بيع الدقيق بالدقيق، وإن اتفقا في صفة النعومة، ولا الخبز الطري بمثله وزنا، ولا الرطب بالرطب خلافا للثلاثة فيها، ومذهبه أن بيع الفضولي لا يصح، وهو رواية عن أحمد، والأخرى عن أحمد كقول مالك وأبي حنيفة: أنه يصح ويوقف على إجازة المالك، فإن أجاز نفذ، وإن رد بطل، وهو قول شاذ في المذهب في وقف العقود مطلقا، ومذهبه أن مكة فتحت صلحا فيجوز بيع رباعها وإجارتها، وعنه قول آخر كقولهم: إنها فتحت عنوة، والله أعلم.

ومذهبه أنه لا يجوز التفريق بين الوالدين والمولودين في البيع، ولا يصح إذا كان الأولاد دون ال سبع، ويجوز بعد البلوغ، وفيما بينهما قولان، وقال مالك: يختص ذلك بالأم وولدها قبل بلوغه، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا يجوز التفريق بين المحارم إلى البلوغ عند أبي حنيفة، ومطلقا عند أحمد، إلا أن أبا حنيفة يحرم البيع ويصححه ، والله أعلم، وعند الشافعي أن السلم الحال يصح وهو رواية عن مالك، والمشهور عنه كقول أبي حنيفة وأحمد: أنه لا يصح، وقال الشافعي: يجوز للمقرض أن يقبل من المقترض منه منفعة، إذا لم يكن ذلك مشروطا في أصل ذلك القرض خلافا لهم، وقال: يجوز انتفاع الراهن

بالرهن،." (٢)

"فصل: وينبغي أن يكون المغني جميل الخلق صافي الخلق له حلاوة وعليه طلاوة مستعذب العبارة نظيف الشارب يحفظ كثرا من الملح والأخبار والنوادر والأشعار وشيئا صالحا من علم الإعراب ما يختلط معه بذوي الآداب غير نمام ولا مغتاب ولا فضولي ولا عتاب كامل الظرف بعيدا من الظئر متوقيا للهجن كتوما للأسرار مرتكبا طريق الأسرار ذو روايح ذكية وبشرة نقية وجوارح سالمة من العيوب وشمائل يخفق بها على القلوب صناعته معجبة وأغانيه مطربة فمن اجتمعت فيه هذه الصفات والمناقب وسلم مما تقدم

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ١٠/٩

(٢) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/٧٢

ذكره من المعائب والمثالب كان حقيقا من الملوك بالاختصاص وخليقا منهم بأن يشرفوه بالاصطناع والاختصاص ومنهم من يكون حاذقا في صناعته فيبلغ في أحكامه غاية استطاعته واجتمعت فيه الخلال الحميدة وعرف بالأخلاق السديدة غير أنه يرزق صوتا يستعدنه ويحسن ممن يغني له موقعه فتصطفيه الملوك لتعليم الغناء ممن يؤهلونه لذلك من الطرائف والإماء وتختلف أحوال الباقين في أخلاقهم وخلقهم والمذهب من كل ذي علم وصناعة قليل وتعديد ما يوجد من أخلاق يطول.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي شر الغناء والشعر الوسط لأن الأعلى منهما يطرب والرذل يضحك من صاحبه ويلهي به الوسط لا يطرب ولا يضحك.

وذكر الشيخ جمال الدين بن نباتة في شرح العيون ما صورته ويقال إن أول من أتخذ العود الملك المتوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف، وقيل بطليموس، وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة كما تقدم ذكره.

وذكر أن أول من غنى على العود بألحان الفرس النضر بن الحارث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة أهلها وأول من غنى في الإسلام بألحان الفرس سعيد بن مسحج وقيل طوليس وذلك أن عبد الله بن الزبير لما وهي بناء الكعبة رفعها وجد بناءها فيها صناع الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسحج الغناء العربي ثم دخل إلى الشام فأخذ عن ألحان الروم ثم رحل إلى فارس فأخذ الغناء وضرب العود وابتعه من بعده وبدأ هذا العلم ببطليموس وختم بإسحاق بن إبراهيم الموصلي.

وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والظرف أنه وجد للأسعد المرتضى أحمد بن عبد الواحد لما قبض عليه المستنصر في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ما يجوز حد الحصر لكثرته وجلالته وعلو همته وفيما وجد له عدلان كبيران أوتارا برسم عيدان الغناء وعدلا مخزوما مضارب العيدان وثلاثمائة طبل شبري وغير ذلك من سائر أصناف الملاهي ووجد له هاون فضة وزنه سبعون رطلا.

فصل: فيما ورد للفضلاء في مدحهم قال الشيخ برهان الدين القيراطي:

أقول إذ حبس عود مطرب حسن ... يريك يوسف في أنغام داودو

من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة ... من بنانك يجري الماء في العود

وقال:

أطربنا العود إلى أن غدا ... مقاصنا يرقص مع صحبه

فشمعه قام على ساقه ... وكأسه دار على كعبه

الشيء بالشيء يذكر: أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي فسح الله في أجله من قصيدة حربية:

إن حبس عود الضرب مال سامعه ... والخيل يرقصها إن حرس الوترا

وقتال الشيخ برهان الدين القراطي:

وشذا في أصفها ... ن بالأغاني المطربات

مسمع غنا فأغنا ... بصفات الحسن ذات

قلت إذ حرك عودا ... عارفا بالنغمات

أنت مفتاح سرو ... ري يا سعيد الحركات

وقال المرحوم فتح الدين بن الشهيد وقد أحضر له بدر الدين طائرا ينعى العواد بسفارة الحاجب توكل:

نهاري ليس كله بمنادم ... على عودة تعرو الحشابا لتفرك

وكنت أراه طائرا عز مطلبا ... ولكنني حصلته بتوكل

وأنشدني من لفظه لنفسه إجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المالكي المخزومي الشهير بالدماميني أسبغ الله ظلاله:

يا عزولي في مغن مطرب ... حرك الأوتار لما سفرا

لم تهز العطف منه طربا ... عندما يسمع منه وترا

وقال علاء الدين الوادعي في مغن يدعى الفصيح:

وليلة ما لها نظير ... في الطيب لو ساعفت بطول

كم نوبة للفصيح فيها ... أطرب من نوبة الخليل." (١)

"ولغلغ أسود مسك الهم ... وحبرج عن الرماة محمي

والضوع مع سبيطر «١» سياح! ... وكم وكم قد صدت يوما مرزما

أنزلته بالقوس من جو السما ... جناحه يحكي طرازا معلما

على بياض شية شبه الدما ... كأنه ليل على صباح!

حيث الصبا تشفع بالقبول ... وشملنا يجمع بالشمول

في مجلس ليس به **فضولي** ... وجاءنا التوقيع في الوصول:

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١١٥

فسادكم يغفر بالصلاح ... السيد الفائق في أفعاله

والمزدري بالبدر في كماله ... والمشتري حسن الثنا بماله

لا أحد يحكيه في نواله: ... إلا أخوه معدن السماح!

من ساد في الدنيا على الكتاب ... وصان سر الملك في حجاب

علي العالي على السحاب ... الباذل المال بلا حساب! «٢»

زاده الله نعما، وأجرى له في الندى يدا، وثبت له في العلى قدما؛ بمنه وكرمه.

وهذه نسخة رسالة في صيد البندق، من إنشاء الشيخ شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سلمان الحلبي، رحمه الله؛ وهي «٣» :." (١)

"وقال السندي بن شاهد قائد الخليفة: بعث إلي المأمون، وأنا بخراسان، فطويت المراحل، حتى أتيت باب أمير المؤمنين، وقد هاج بي الدم، فوجدته نائما، فأعلمت قصتي الحاجب، وقدمت إليه عذري، وما هاج بي من الدم، وانصرفت إلى منزلي، فقلت: ائتوني بحجامي، فقالوا: هو محموم، قلت: فهاتوا حجاما غيره، ولا يكون فضوليا، فآتوني به، فما هو إلا أن دارت يداه على وجهي، فقال: هذا وجه ما أعرفه، فمن أنت؟ قلت: السندي بن شاهد، قال: ومن أين قدمت؟ فإني أرى أثر السفر عليك، قلت: من خراسان، قال: وأي شيء أقدمك؟ وكم لك في الطريق؟ قلت: وجه أمير المؤمنين إلي، ولكن إذا فرغت سأخبرك بالقصة على وجهها إن شاء الله، قال: وتعرفني بالمنازل التي جئت عليها؟ قلت: نعم، قال: فما هو إلا أن فرغ ودخل رسول أمير المؤمنين، ومعه كركي، فقال: أمير المؤمنين يقرئك السلام، وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم، وقد أمرك بالتخلف في من‌زلك حتى تغدو عليه إن شاء الله، ويقول: ما أهدي إلينا اليوم شيء غير هذا الكركي، فقال الحجام: يصنع كذا وكذا، فقلت: يصنع كما قال: وعزمت على الحجام ألا يبرح، فحضرت الغداء فتغدينا وهو معنا، ثم قدم الشراب، فلما دارت الأقداح قلت: يعلق الحجام في العقابين فعلق، ثم قلت له: إنك سألتني عن المنازل التي قدمت عليها، وأنا مشغول في ذلك الوقت، وأنا أقصها عليك الآن فاسمع: خرجت من خراسان وقت كذا، فنزلت بموضع كذا، يا غلام: أوجع، فاضربه عشرة أسواط، ثم خرجت إلى موضع كذا، يا غلام: أوجع، فاضربه عشرة أسواط مرة أخرى، فلم يزل يضربه لكل منزلة عشرة أسواط، حتى انتهى إلى سبعين سوطا، فالتفت إلى الحجام وقال: يا سيدي، أين تريد تبلغ؟ قلت: سألتني بالله إلى بغداد، قال: ليس تبلغ والله إلى الري حتى تقتلني، قلت: فأتركك على ألا

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٢٧/١٤

تعود؟ قال: والله لا عدت أبدا، قال: فتركته، وأمرت له بسبعين دينارا، فلما دخلت على المأمون أخبرته الخبر، قال: وددت أنك بلغت به إلى الري على أن تأتي على نفسه.

وحكى الزبير بن بكار قال: كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء ويعمل لهم الشراب، فشكي إلى عامل مكة، فصرفه إلى عرفات، فبنى بها منزلا، وأرسل إلى إخوانه وقال: فما يمنعكم من أن تعودوا لما كنتم فيه؟ قالوا: وأين بك وأنت في عرفات؟ قال: حمار بدرهمين، وقد صرتم إلى الأمن والنزهة، ففعلوا، فكانوا يركبون إليه، حتى أفسد أحداث مكة، فعاودوا شكايته إلى والي مكة، فأرسل فيه، فأتي به، فقال: يا عدو الله، طردناك من حرم الله، فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم؟ قال: يكذبون علي، أصلح الله الأمير، فقالوا: بذلك أصلحك الله على ما نقول، أن تأمر بحمير مكة وتجمع، وترسل بها أمينا إلى عرفات، فإن لم تقصد إلى منزله من بين المنازل لعادتها إذا ركبها سفهاؤنها فنحن مبطلون، فقال الوالي: إن في هذا دليلا عدلا، فأمر بحمير من حمير الكراء، فجمعت، ثم أرسلت، فسارت إلى منزله، حتى كأنها دلها عليه دليل، فأعلمه بذلك أمناؤه فقال: ما بعد هذا شيء، جردوه، فلما نظر إلى السياط قال: لابد، أصلحك الله، من ضربي؟ قال: نعم، يا عدو الله، قال: ما في ذلك شيء هو أشد علي من أن يشمت بنا أهل العراق، ويضحكون منا، ويقولون: أهل مكة يجيزون شهادة الحمير، فضحك الوالي، وخلى سبيله.

الحديقة الثالثة

في نوادر أولي العقول والألباب، وحكايات المستخفين والمغفلين من المولدين والأعراب وفيها ثلاثة أبواب:

الباب الأول في النوادر المستغربة والنكت المستعذبة

نظر القاضي إياس إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء، فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر، فسئلن، فوجدن كذلك، فسئل. من أين علم ذلك؟ فقال: لما فزعن وضعت كل واحدة يدها على أهم المواضع لها، فوضعت الحامل يدها على بطنها، والمرض على ثديها، والبكر على فرجها.

وسمع نباح كلب، فقال: هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر، فنظر، فكان كما قال، فقيل له في ذلك، فقال: سمعت عند نباحه دويا، ثم سمعت بعده صوتا يجيبه، فعلمت أنه عند بئر.." (١)

"إذا كنت فضولي كن في جبهة المخزن إذا كان السخا من الشامل لا يسبقك به أحد إذا كثر همك أرقدك إذا حبك القمر لا تبالي بالنجوم إذا كان معك جار لطيف ادعي إلى الله أن لا يزول وهذا كقول

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٥٠

الشاعر:

كنت أشكو من التباعد دهرا ... صرت أبكي من التفرق دهري

إذا دخلت بلد خذ من سير أهل وهذا كقول الشاعر:

وكن أكيس الكيس إذا كنت منهم ... وإن كنت في الحمقى فكنت أنت أحمقا

إذا ترى الأكل إقرب وإذا ترى المقرع إهرب إذا كان الطريق آمن لا عليك من بعد إذا يجي الرزق يجي بدول إذا اشتريت افتكر في يوم تبيع إذا كثر الطير سلح بعض لبعض إذا طارت لا تقله اش

فصل

إش يعمل الكيس في البيت الفارغ وهذا كقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

إش يعمل العقرب بين الجراد وهذا كقول الشاعر:

تكاثرت الظباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد

إش تجي عزيز من القاضي إش ما يصيب الغبار يحمل للدار اشحل تاكل صايم تصبح اشحل نذري أكثر يخصك وهذا كقول الشاعر وهو حازم:

أهل درى عارف وجدي أن ... ما لم يدر أكثر مما قد درى

إش شيء أن لا يدري قال شيء لا ينوي إش أسود إذا قال سيدي أحمد إش دخل ضرط لمنجل إش دخل باسم الله في خبزنا إش دخل قفا لقلب قال العروق متصل إش بين ترنج وبظيخ قال مبيت ليل اش شيء أسرع من البرق قال يدفعني إذا قال خذ إش كلنا حتى نشرب عليه اش برطل واش مرق وش لزم في ساق اش ما كتبت أنت قريت أنا اش بين الأحمق والعاقل قال كشف عورة اش يراد الطاس يبزق فيه الدمك وهذا كقول الشاعر وهو أبو فراس:

ولا أنا راض إن كثرن مكاسبي ... إذا لم تكن بالعز تلك المكاسب

اش لو الشابع من الجايع اش ينفع الضراط عند الموت اش يوصل غربتي لأهلي قال الشاعر:

في الشرق أحبتي ... وفي الغرب أنا

اش الشخينة في يد سلوة إش ما في القدير المغيرف تخرج اش ما وفر العنزي في دار الدباغ يخليه

فصل

اش يقوم حيط من حيط إلا في عمارة اش بنا ألف إلى الذي يجي وراه اش المد قد القداح اش للباز إلا

ما حاز اش ينوح إلي مقروح اش في البقير ما تشرب العجيلا إش اطا من طا وهذا كقول أبي فراس:

ولا الفضة البيضاء والتبر واحد ... نفوعان للمكدي وبينهما صرف

اش للراس أنقى من المس اش تربي الكشفا ولد أحد اش تعلم اليتيم البكا قال الشاعر:

فلا تصفن الحرب عندي فإنها ... طعامي مذ بعت الصبا وشرابي

اش عمل الصور إلى لأبناء الحلال اش تسع العفافي في رأس كل أحد اش ينطب الأحمق إلى فالعذران اش يجي كيس إلا من مشعوف اش يرى الأحدب حدبة إلى متاع غير اش عليه البغل من ركض أم اش يخرج قنديل للريح اش يكل سبع إلى في عام سو إش يقول الحق إلى صبي أو أحمق اش تشبه ضرط لجرقب اش الخل طعام القطاطيس اش يضرب السارق على سرقته على قلة ذريته اش ينبح الكلب إلا قدام دار اش ينفع الحلقين بالراطل اش يصطاد باز قدام عقاب اش يءرب قط من مطباخ وهذا كقول جرير:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا ... ولو رضيت رمح استه لاستقرت

اش يلوم الشيء إلا من لا يقدر عليه اش يمشي مركب في البر إش تبقى الحم دون مبطول اش يبكي إلى على ما يخلي اش خلف كما تعرف اش يسمعني فالقلب نفسي وهذا كقول الشاعر:

وهل يجمع السيفان ... ويحك في غمد

اش تخرج شوكة بقطن اش يسمع القاضي من سكت اش تغلي قدر في نفسي اش الجراز يكبر اللقم وهذا كقول ابن عمار:

عيرتموني بالنحول وإنما ... شرف المهند أن ترق شفاره

اش كل مدور كعك وينظر هذا إلى قول الشاعر:

أكل امرئ تحسبين امرءا ... وناغر توقد بالليل نارا

إش يطل الكعك إلى من يد الصناع اش تقع حجة إلى في نفسي إش يأكل الحرام إلا بالاتفاق اش يقول أحد عن قط حزير اش يقال الحق إلى بشواي من باطل إش ينفض الجوز إلى بالمقرع اش قدر للحمار رجع للبردع اش يدري حمار اش زنجبيل اش يقرن الخز لوبر المعز." (١)

"ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الأكل المفرط، إلا أن يكون بدويا، فإنها عادته، ومنها أن يتتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والأمراق والحلوى وغير ذلك، ومنها أن يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه أن يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير.

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٨٢

ومنها قبح المؤاكلة، وقد عد فيها عيوب كثيرة، فمنها:

المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرنخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والحامي والمجنح والشطرنجي والمهندس والمتمني **والفضولي**.

فأما المتشاوف: فهو الذي يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام، فلا تراه إلا متطلعا لناحية الباب يظن أن ما دخل هو الطعام.

وأما العداد، فهو الذي يستغرق في عد الزبادي ويعد على أصابعه، ويشير إليه، وينسى نفسه.

والجراف: هو الذي يجعل اللقم في جانب الزبدية ويجرف بها إلى الجانب الآخر.

والرشاف: هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها، فيسمع لها حين البلع حس لا يخفى على جلسائه، وهو يلتذ بذلك.

والنفاض: هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك.

والبهات: هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم، ويأخذ اللحم من بين أيديهم.

واللتات: هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام.

والعوام: هو الذي يميل ذراعيه يمنة ويسرة لأخذ الزبادي.

والقسام: هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه.

والمخلل: هو الذي يخلل أسنانه بأظفاره، والمزبد: هو الذي يحمل معه الطعام.

والمرنخ: هو الذي يرنخ اللقمة في الأمراق، فلا يبلغ الأولى حتى تلين الثانية.

والمرشش: هو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه.

والمفتش: هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه. والمنشف: هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها.

والملبب: هو الذي يملأ الطعام لبابا.

والصباغ: هو الذي ينقل الطعام من زبدية إلى زبدية ليبرده.

والنفاخ: هو الذي ينفخ في الطعام.

والحامي: هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه من مؤاكليه.

والمجنح: هو الذي يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له في المجلس، فلا يشق عليه الأكل.

والشطرنجي: هو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها.

والمهندس: هو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه ههنا، حتى يأتي قدامه ما يحب.

والمتمني: هو الذي يقول: ليتني لم يكن معي من يأكل.

والفضولي: هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام، إن كان قد بقي عندك في القدور شيء، فأطعم الناس، فإن فيهم من لم يأكل.

ومن الأضياف من لا يلذ له حديث إلا وقت غسل يديه، فيبقى الغلام واقفا والإبريق في يده والناس ينتظرونه. ومنهم من يغسل يديه بالأشنان مرة واحدة، فإذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما. ومنهم من يدخل الدار فيبتدىء بالهندسة أولا، فيقول كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا، والإيوان كان ينبغي أن يكون من ههنا، وينتقل من الهندسة إلى ترتيب المجلس، فينقل الفاكهة من موضعها إلى موضع آخر، وإن كان قد استحكم جوعه استعفى من الطعام، وذهل عن بقية الأضياف وشدة جوعهم. ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة، فيتألم عن انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم.

ولقد حكي عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة، وما ذاك إلا أنه كان إذا سئل أين كنت قال: كنت عند الناس، وطذا قيل له: أين أكلت؟ قال: أكلت في بطني، وإذا قيل له: أين شربت؟ قال: شربت في فمي.

ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا، فيقول، والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيئا فأذوقه، فيعجز صاحب المنزل ويخجله إذا لم." (١)

"فأسمعه من شيوخها وكان ذكيا فاضلا بارعا له نظم ونثر وباشر الخطابة بجامع حلب الكبير مدة إلى أن مات شابا في ذي الحجة سنة ٧٩٠ بالطاعون ومن شعره

(شكوت إليه أن هجرك قاتلي ... وقلت له من ذا يكون بديلي)

(فقام وولى وهو ينشد ضاحكا ... إلا فأعجبوا من ميت **وفضولي**)

٧٢٩ - أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمود الكازروني شرف الدين نزيل دمشق ولد سنة ٦٧٣ وسمع من الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن وريدة الأربعين من حديث أحمد بن يوسف بن محمد بن صرما تخريج عبد اللطيف بن علي بن النفيس بن بورندار عنه وأجاز له ابن الشاعر وعبد الصمد بن أبي الجيش وعدة وسمع من جده المؤرخ ظهير الدين البخاري بإجازته من القطيعي وصحيح

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٩٥

مسلم بإجازته من المؤيد الطوسي ومن الكمال ابن الفويرة وجماعة ذكره الذهبي في المعجم المختص فقال أبو العباس البغدادي الناسخ وذكر مولده نزل دمشق ونعم الرجل هو مروءة وديانة وصلاحا وله اعتناء بالرواية وفضيلة ومعرفة ما انتهى ومات سنة ٧٥١

٧٣٠ - أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرفعة ولد سنة ٦٤٥ وأخذ الفقه عن الضياء جعفر ابن الشيخ عبد الرحيم القنائي والسديد الأرمنتي والظهير التزمنتي وابن رزين وابن بنت الأعز وابن دقيق العيد وغيرهم وسمع من." (١)

"وفي معجم ياقوت: كان صحيح الاعتقاد، كريم النفس، مطبوعا، متناسب الأحوال، يحكم على أهل التمييز بحكم ملكه، فيقبل ولا يستثقل، فيقول: هل سيبويه إلا من رعيتي وحاشيتي ﴿ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي.

ومن ظريف ما يحكى عنه أنه كان يستخف بالعلماء؛ فكان إذا ذكر واحد منهم، قال: كلب من الكلاب، فقال له رجل: أنت إذا لست ملك النحاة، بل ملك الكلاب﴾ فاستشاط غضبا؛؛ وقال: أخرجوا عني هذا **الفضولي**. وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة.

صنف: الحاوي في النحو، العمدة فيه، المقتصد في التصريف، العروض، التذكرة السفرية، الحاكم في الفقه، المقامات، ديوان شعره، وغير ذلك.

وله عشر مسائل استشكلها في العربية؛ سماها المسائل العشر المتعبات إلى الحشر، ذكرناها في الطبقات الكبرى. وله ذكر في جمع الجوامع.

مات بدمشق يوم الثلاثاء تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ومولده سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

ورئي في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها وهي:

(يا هذه أقصري عن العذل ... فلست في الحل ويك من قبل)

(يا رب ها قد أتيت معترفا ... بما جنته يداي من زلل)

(ملآن كف بكل مأثمة ... صفر يد من محاسن العمل)

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٣٣٦/١

(فكيف أخشى نارا مسعرة ... وأنت يا رب في القيامة لي!)

قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس النار.

ومن شعره:

(حنانيك إن جادتك يوما خصائصي ... وهالك أصناف الكلام المسخر)

(فسل منصفا عن حالتي غير جائر ... يخبرك أن الفضل للمتأخر)." [١]

"وهو القائل

(قلت للدهر من فضولي قولا ... وحداني عليه طيب الأماني)

(أتراني بخلعة أنا أحبى ... ذات يوم وفاخر الحملان)

(قال هيهات أنت والنحس تربان ... وقد كنتما رضيعي لبان)

(لا تؤمل ركوب شيء سوى النعش ... ولا خلعة سوى الأكفان ...) // الخفيف //

وله من أبيات

(يكلفني التصبر والتسلي ... وهل يسطاع إلا المستطاع)

(وقالوا قسمة نزلت بعدل ... فقلنا ليته جور مشاع) // الوافر //

وكان أبو العلاء الأسدي عرضه لأهاجيه فمن ملحه فيه قوله

(أبا العلاء اسكت ولا تؤذنا ... بشين هذا النسب البارد)

(وتدعي من أسد نسبة ... لا تثبت الدعوى بلا شاهد)

(أقم لنا والدة أولا ... وأنت في حل من الوالد) // السريع //

وقوله أيضا

(قابل هديت أبا العلاء نصيحتي ... بقبولها وبواجب الشكر)

(لا تهجون أسن منك فربما ... تهجو أباك وأنت لا تدري) // الكامل //

وقوله

(أضحى الملوم أبا العلاء يسبني ... وأنا أبوه يعقني ويعادي)

---

(١) بغية الوعاة السيوطي ١/٥٠٥

(والمنتمون إليه من أولاده ... الله يعلم أنهم أولادي) // الكامل //

ولنرجع إلى شعر ابن الرومي

قال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره وهو معنى جيد

(بلد صحبت بها الشبيبة والصبا ... ولبست ثوب اللهو وهو جديد)." [١]

"أو عند النواعر (١) ... والروض الشريق (٢)

أو قصر الرصافه ... أو وادي العقيق

رحق (٣) والله دونك ... هو عندي الحريق

وفي حبك أمسيت ... في أهلي غريب

وما الموت عندي ... إلا حن تغيب

اتكل على الله ... وكن فظ جسور

وإن ريت فضولي ... وقل إين تمور

كمش عنو (٤) وجهك ... فإن راك نفور

يهرب عنك خايف ... ويبقى مريب

وامش أنت موقر ... كأنك خطيب

ما أعجب حديثي ... إش هذا الجنون

نطلب وندبر ... أمرا لا يكون

وكم ذا نهون ... شيئا لا يهون

وإش مقدار ما نصبر ... لبعد الحبيب

رب اجمعني معو ... عاجلا قريب

---

(١) ج: النواير.

(٢) ج: الرشيق.

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١/١١٦

(٣) ك ط: حرق؛ ج: حدق.

(٤) ك: عني.." [1]

"لا يدخل النار أسير الهوى ... إذ لا يرى الجنة أهل العذاب

معنى هذا البيت مضطرب، وقد سئلت عنه فأجبت: بأنه معرب من بيت بالتركية لفضولي، ومعناه: أن نار العشق التي يعذب بها العاشق في الدنيا هي نار الآخرة عندها جنة، فإذا دخلها العاشق، والمفروض من أهل العذاب، يعني في العشق، لا يدخل النار الأخروية؛ لأنها بالنسبة إليه جنة.

وقوله:

مهلا فحبك بي أراه عابثا ... وأظنه للروح مني وارثا

من ذا الذي ألوى بعهدك في الهوى ... حتى انثنيت عن المودة ناكثا

جربت فيك الحادثات فلم أجد ... مثل الرقيب إذا خلونا حادثا

يا مشبه الآرام ألا أنها ... خلقت لنا عيناه سحرا نافثا

قد راح بالقمرين طرفي هازئا ... لما رأى في بردتيك الثالثا

أقول: ما تصورت أن الثاء تهون هذا الهوان، ولا تذعن هذا الإذعان، ولا تنقاد للكلم إلا أن يكون كلمة المعان. فهذا السحر البياني إن لم يكن السحر المبين، وهذا المعجز الباهر، وأنا أول المؤمنين.

وله من قصيدة، مستهلها:

كبد من سنان لحظك جرحى ... وعيون تردد الدمع سحا

وحنين إلى الديار ووجد ... يستفز النهى وشوق ألحا

يا ابن ودي تفديك من كل سوء ... مهج فيك ليس تقبل نصحا

قم بنا نشرب المدامة بكرا ... حيث رق الهوى ونسكن صرحا

في رياض كأنما هي خدا ... ك بهاء وطيب صدغك نفحا

مطلعا من ضياء وجهك والفر ... ع ظلاما يغشى العيون وصبحا

سكر الكأس إذ سكرت بعيني ... ك فكان المدام مني أصحى

هذا بيت تقلقل مبناه، فلهذا لم يفهم معناه، وسكر الكأس بظهور لازم السكر وهو الميل عليه، وإن صح أن المدام بمعنى المديم، فهو المعنى الذي يرجع إليه.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٧٩/١

وله:

زمن الربيع مطية الأفراح ... ومعدل الأرواح في الأشباح

زمن به لولا اشتباك فواقع ... طارت حميانا من الأقداح

أخذه من قول ابن المعتز:

كادت تطير وقد طرنا بها فرحا ... لولا الشباك التي صيغت من الحبب

ولأبي الحسن علي بن الحسن الأندلسي:

والماء يحذر منها أن تطير فقد ... صاغ الحباب عليها صيغة الشبك

وله:

حمائم الدوح ما هذي التغاريد ... عن باعث هي أم لي منك تقليد

نوحي ونوحك جنح الليل متفق ... والمشغلان لنا ورد وتوريد

إن كان يغنيك أصوات الصفير فلي ... قلب يعلله في الحب تفنيد

تعجبت نار قلبي من تجلده ... ومن جفوني شكا دمع وتسهيد

والحزن باق على ما كنت أعهده ... وإن تكرر عيد بعده عيد

جريح بيض الظبا ترجى سلامته ... إلا الذي جرحته الأعين السود

لي بالظعائن نهاب العقول رشا ... قوامه بانة والقلب جلمود

لو مرت الريح تروي عن ثؤابته ... لم يبق من عهد عاد ثم ملحود

لكنما منعتها من مواطنه ... مهابة تتحاماها الصناديد

من البشانقة الغر الذين لهم ... لواء حسن على الأقمار معقود

نحن المسيئون إن جاروا وإن عدلوا ... وما يرون حميدا فهو محمود

والذل أشرف عز في محبتهم ... وشري هجرهم أرى وقنديد

لا تصحبن غير حر إن ظفرت به ... وما سواه إذا جربت تنكيد

ومن بدائعه قوله:

ومذ كشف الفصاد عن زنده رأى ... محاسن ألهته فضل عن الرشد

فقطب من أهوى وأبصر مغضبا ... وأوقع ظل الجفن منه على الزند." (١)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٨/١

"قال: فلما فرغ من إنشاده المريب، طلعت عليه طلعت الذيب، وقلت: السلام على الخطيب. فأجفل إجفال الحمل، وقال: سبق السيف العذل. إذا كنت طفيليا، فلا تكن **فضوليا**. قلت: فمن التي تشرب الكأس من يديها؟ أحليلة بنيت بها أم خليلة أنست إليها؟ قال: إن بينهما نقطة فلا تحاسب عليها. والآن قد غلبتني سورة المدام، وتلعثم لساني عن الكلام، فاذهب الليلة بالسلام. وإذا التقينا غدا برزت لك المكنون، ودرأت عنك الظنون. قال: فعلمت أنها." [١]

"دعوا ذا الوجد يشقيني ... ويمنيني بإشفاء

وهذا العشق يضنيني ... ولا تعنوا بإشفائي

فذا عظمي وذا جلدي ... وذا شأني وإنشائي

فما يدخل ما بيني ... وبين هوى بأحشائي

سوى فظ **فضولي** ... زنيم شر مشاء

إذا أسمعكم عتبا ... فعدوني من الشاء

ولا تبقوا على طوقي ... وجلبابي وأعضائي

فإن الفدم من يسمع ... ذا عذل بإغضاء

وإن الحر من يسمع ... عتبا تلو إرضاء

الأغاني

يا بدر مالك ثان ... في حسنك الفتان

فأرحم فتى ولهان ... مبلبل البال

عذب بما ترضاه ... إلا الجفا أخشاه

قد طال ما أصلاه ... وأنت لي سالي

يا يوسف الحسن ... حوشيت من سجن

هددت بالحزن ... أركان آمالي

من ذا الذي أغراك ... بصد من يهواك

الطرف منه باك ... وجسمه بالي

---

(١) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/١٩

حتام ذا الهجران ... والصد والحرمان

حسن بلا إحسان ... كالري بالآل

محبك الواجد ... منك الرضى فاقد

يا ليتني واجد ... اتهام عذالي

أضناني السهد ... وعزني الوجد

ما القصد ما القصد ... سواك يا غالي

يا فاتن العشاق ... باللحظ والأحداق

تبارك الخلاق ... لحسنك الكالي

أفديك بالمال ... والروح واللآلي

رضاك أشهى لي ... من طول آجالي

غيره

ما ترى عيني مثيلك ... يا رشا فأرحم قتيلك

لم يرم إلا سلامك ... ثم أن شئت جميلك

كل ما فيك مليح ... كبدي منه جريح

بليت تفدي مقامك ... والهوى فيها صحيح

أنت لي يا بدر سالي ... وأنا للهجر صالي

من يذق يوما غرامك ... لم يذق طعم الليالي

يا رشا صد دلالا ... وجوابي منه لا لا

أسمع العبد كلامك ... وراقب المولى تعالى

فيك تعبيدي وذلي ... وهيامي أصل ضلي

ليت من غيري رامك ... يبتلي بالهجر مثلي

ضقت بالهجران ذرعا ... ولشوقي كان أدعى

لم أزل أرعى ذمامك ... وذمامي لست ترعى

أن يكن وصل فعدني ... فيك قد أحسنت ظني

أسأل الله دوامك ... فهو لي أشهى تمني

يا مليك الحسن طرا ... يعرض المملوك أمرا

أدعه يوما غلامك ... أن له أجريت ذكرا

طال ب الباب مثولي ... والتفات منك سولي

من رأى يوما قوامك ... راح صبا ذا نحول

إنما بدري غزال ... فأتني منه الدلال

يا عذولي دع ملامك ... إنما العشق حلال

غيره

اللقا طبيبي يا من لي سبيت ... والهوى نصيبي من يوم انتشيت

أن في شحوبي شكوى لو رثيت ... يا صنو القضيب ما هذا الجفا

يوسف الجمال ذا الهوى صعب ... تهت بالدلال شانك العجب

أن تسل عن حالي ينفع العتب ... أو بقيت سالي لم يفد دوا

من حمل الصدود صرفت في ذا الحال ... من مطل الوعود صار جسمي بال

أدمعي شهودي واشتغال البال ... ليس من محيد عن حكم الهوى

قد رثى لي اللاحي لما عادوني ... وعلا نواحي مما آدني

وجهك الصباحي ضلا زادني ... يا زين الملاح أنعم باللقا

مر بما تشاه تلقني مطيعا ... تلقني فداه جهد المستطيع

ولعي أذكاه شكلك البديع ... جسدي أضناه منك قول لا

من يجد كوجدي يدر قصتي ... ليس غير الوعد منك حصتي

بعض هذا الصد أصل غصتي ... أنا فيك وحدي مبتلي أنا

غيره

يا فاتر الجفون ما بدأ لك ... حتى جفوت عاشقا جمالك

ويا قضيب البان ما أمالك ... عن مغرم مؤمل وصالك

عذب بما ترضاه يا غزالي ... إلا الجفا شماتة العذال

أنعم بوصل منك يوما بالي ... أنعم طول العمر ربي بالك

علام تجفوني وما لي ذنب ... وما لقلبي عن هواك قلب
بحق من أولاك ما تحب ... دعني أقبل مرة أذيالك
لم يبق لي على الصدود طوق ... وعال صبري عنك هذا الشوق
وليس لي إلى سواك توق ... وهل لعيني أن ترى أمثالك." (١)

"ثم دخلا البلد ورجع الفارياق إلى التعبير وإصلاح البخر. وبعد مدة وجيزة قدم على صاحب المعبر رجل من العجم قيل أنه كان مسلما ثم تنصر وإنه شاعر مفلق ذو شهرة بين علماء فارس. فسار ومعه الفارياق ليسلما عليه في المعتزل وإذا به جحشوش حتروش حزقة ألحي. فلما دخل البلد أقام في المعبر فرأى الرئيس بادئ أن يحلق لحيته. فجيء بالحلاق واعمل فيها الموسى فلما انتهى إلى شاربيه سترهما بيديه فأقبل إليه صاحب المعبر وبيده كتاب ليحجه منه على لزوم حلق الشوارب. فدار بينهما البحث والجدال حتى رضي الرئيس بنصف الشعائر. فلما كان ذات يوم من الأيام المشئومة ذهب الفارياق إلى المعبر فوجد الرئيس قد تعرى من ثيابه بالكلية وجعل يطوف الدار على هذه الحالة ويحض الناس على الاقتداء به. ويقول يا أيها الناس ما جعلت الثياب إلا لستر العورة. ولا عورة لمن كان طاهرا بريئا من الذنوب والمعاصي. فأن آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبراءة لم يكن له حاجة بالثياب فلما انتهى إلى زوجته ليغريها بالتعري قالت له إن النساء لا عصمة لهن إلا في الليل فلا بد لهن من الستر نهارا. فرآه العجمي على تلك الحالة فسأل الفارياق قائلا ما بال صاحبنا قد غير اليوم زيه الأسود وتردى بهذا الزي الأحمر. قال هو من جنود الخرج والجند هنا يلبسون اللباس الأحمر. ثم اشتد اللمم بكل منهما واستحكم. فخافت الزوجة أن يتلاقيا في مأزق وينشب ما بينهما الجدال أو الجلاد. فرغبت إلى الفارياق في أن يضم إليه العجمي. وكان الغصن قد قدم إليها في أثناء ذلك من الديار الشامية وهو مترجم عن جني شهي، وجذع قوي. فبوأته عندها مقاما كريما. وحاولت أن يخلو لها معه المعبر خلوا مستديما. ولو بدوام لمم بعلها. وفقد أهلها فأقام الغصن في أرغد عيش وأهنأ حال. وظلت هي معه أشغل من ذات النحيين في أصفى بال وظل زوجها يحض على التعري. وأنه من شعار المتزكي المتبري. ولبث العجمي في منزل الفارياق. وإنما قبله عنده لدمامته وضعفه ولغلبة السكوت عليه. فلما كان ذات ليلة وقد رأى عند زوجة الفارياق نساء حسانا أنحلت عقدة لسانه ونطق بكلام دل على أنه لم يتنصر عن هدى وإنما أضطره إلى ذلك أبو عمرة ثم بات تلك الليلة وقد أضطرم الغرام في قلبه فخرج ليلا يقصد غرفة الفارياقية. فأحس به زوجها فبادره بحبل وهو لا يستطيع دفاعا عن

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٥٢

نفسه فلما كان الغد شاور زوجته في أمره. فقالت أظن أن هذا العجمي إنما جن لعدم الزواج وكذا سائر المجانين. إلا ترى أنه رأى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم؟ فقلت ما أرى الحق معك هذه المرة فإن صاحبنا الخرجي جن من بعد الزواج قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلا بأحلام. ولما تزوج لم يؤد الزواج حقه فأقتص الحق منه فلأعتبر به غيره. قلت من أين علمت هذا؟ قالت أن المتزوج لا ينبغي له أن يكون فضوليا يتعرض لغير ما هو فيه. قلت هذا تعطيل المصالح الخلق. قالت لا تعطيل فإني لا أمنعهم عن العمل بل عن فضول الكلام. واللهج بالأحلام. فأن التمحل لعلم خرق العادات، أجهد من التحمل لعمل عادات الخرق. ألا ولو كان الأمر ألي لداويت المجانين كلهم بالنساء ومن النساء وعن النساء. قلت أكل حروف الجر للنساء. قالت نعم كل الجر في النساء. قلت قد حذفت الحروف قالت بل هي باقية قلت دعيني من المطارحة وافقيني في أمر هذا المجنون. قالت رده إلى المعبر وإني أكره طول مكثه عندنا مخافة أن أحبل فيأتي الولد على شكله. قلت ما مدخل الجنون في الجنين. قالت أو ليس الأولاد يأتون بيضا صباحا ووالدهم قباح. فلو لم يكن لعين الأم من فاعلية عند توحمها لما كان ذلك. قلت هذا رأي يؤدي إلى الكفر والمحال أما الكفر فلأنك تزعمين أن المرأة مشاركة في خلق الإنسان. وأما المحال فلان المرأة لو كان لها فاعلية في ذلك لأشبهت الأولاد آباءهم أو لجاءوا كلهم صباحا. قالت أما جواب الكفر فلا ينكر أن يكون الله عز وجل قد خلق هذه الخاصية في المرأة وهو مسبب الأسباب. بمعنى أن القوة الوحمية التي أودعها فيها الخالق القدير تكون مؤثرة في كونية الولد. وأما جواب المحال فلأن المرأة أبدا تشتهي أن يأتي ولدها على غير هيئة أبيه. وما تراه منهم مشبها أباه فالغالب أنه البكر. قلت كثر الله من أمثالك ما كأنك قرأت الكلام إلا على الأشعري قالت نعم." (١)

"المولوي عناية الله الكوئلي العليكدهي

الشيخ الفاضل عناية الله بن لطف الله الحنفي الكوئلي، أحد العلماء المشهورين، ولد حوالي سنة ست وسبعين ومائتين وألف ونشأ ببلدة عليكده ولازم أباه من صغر سنه وتخرج عليه، وقرأ الطب

وتطبب، ثم درس وأفاد مدة مديدة بمدرسته في عليكده، ثم سافر إلى بهوبال وخدم الحكومة زمانا، حتى جعل عضوا من أعضاء مجلس العلماء، وتشرف بالحج والزيارة مع الأميرة سلطان جهان بيكم والية بهوبال، وأسند الحديث عن علماء الحرمين.

مات حوالي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف.

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٩٦

المولوي عناية الله السندي

الشيخ العالم الفقيه عناية الله بن محمود الحنفي الماروي السندي، أحد العلماء الصالحين، ولد ببلدة ماري – بفتح الميم – من بلاد السند في ليلة البراءة سنة ست وسبعين ومائتين وألف، وقرأ العلم على الحاج عبد الولي والشيخ بير محمد والقاضي عبد الحميد والمفتي عبد الواحد والمولوي لعل محمد والمولوي محمد حسين بحيدر آباد السند، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار وأخذ عن القارىء أحمد والقارىء عبد الله الهندي المكي، وحصلت له الإجازة عن الشيخ محمد مراد القزاني المكي والشيخ محمد أمين رضوان المدني والسيد محمد علي بن ظاهر الوتري المدني، ثم رجع إلى الهند ودرس وأفاد مدة من الزمان، وسافر إلى الحرمين الشريفين مرة أخرى فحج وزار ورجع ظافرا بمزيد الفضيلة، له تعليقات شتى على الكتب الدرسية.

مولانا عناية رسول الجرياكوثي

الشيخ الفاضل العلامة عناية رسول بن علي أكبر العباسي الجرياكوثي أحد العلماء المحققين، لم يكن له نظير في زمانه في الفنون الرياضية وفي معرفة اللغة العبرانية.

ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف، ببلدة جرياكوث – بتشديد الياء التحتية آخرها تاء عجمية – قرأ المختصرات على أبيه، ثم لازم الشيخ أحمد علي العباسي الجرياكوثي وأخذ عنه الفنون الحكمية، ثم سافر إلى بلدة طوك وأخذ الفقه والحديث عن السيد حيدر علي الحسيني الرامبوري ثم الطوكي ولازمه مدة مديدة، ثم رجع إلى بلدته وتاقت نفسه إلى معرفة اللغة العبرانية فسار إلى كلكته سنة ثمان وستين ومائتين وألف وتهود، ثم صحب أحبار اليهود ست سنين وأخذ عنهم اللغة العبرانية، ورجع إلى بلدته سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف واعتزل عن الناس في بيته.

وله مختارات في المذهب، منها أنه كان يقول لا يجوز نكاح الصغيرة ولو كان بولاية أبيها، ولا يجوز نكاح الفضولي، وكان يقول بحرمة الخمر قاطبة سواء كان من عنب أو شعير أو غير ذلك خلافا للأحناف، وكان لا يجوز التحريف في التوراة، وكان يقول إن المراد بعصمة الأنبياء عصمتهم في فهم الوحي، وكان يقول إن المعراج كان جسمانيا إلى المسجد الأقصى وروحانيا إلى ما فوق ذلك، وكان يقول بإباحة اللعب بالشطرنج.

ومن مصنفاته البشرى في مجلدين، كتاب جليل القدر عظيم النفع في مبحث النبوة، ومنها المقولات العضدية في الهندسة في ثلاثة مجلدات، وفي كل مجلد ست مقالات، أضاف فيها شيئا واسعا على

تحرير أقليدس، ومنها كتاب في الجبر والمقابلة، وكتاب في الحساب، ونور الأنظار في علم الأبصار، والفصول العضدية في القراءة، وميزان الكافي في الصرف، وبداية الصرف في تصريف اللغة الفارسية، والزندية، والكلدية، وكتاب في تصريف العبرانية، وكتاب في إعجاز القرآن، وكتاب في مبحث الرضاعة، وله غير ذلك من المصنفات، مات غرة شوال سنة عشرين وثلاثمائة وألف.

مولانا عناية العلي الحيدر آبادي

الشيخ العالم الفقيه عناية العلي بن كرامة العلي." (١)

"وأظلم ما بيني وبينها فما هي ألا عشية أو ضحاها حتى انحل ذلك الوثاق، وختمت سورة الفراق، بآية الطلاق.

الموقف الرابع: حضرت مجتمعا يضم بين حاشيتيه جماعة من **الفضوليين**، الذين تضيق بهم مذاهب القول فيلجئون إلى الحديث عن الناس والمفاضلة بينهم، ويحاولون أن ينبشوا دفائن صدورهم ويتغلغلوا بين أطواء١ سرائرهم ويغالون في ذلك مغالاة الكيمائي في تحليله وتركيبه، فرأيتهم يتناولون بألسنتهم رجلا عظيما من أصحاب الأراء السياسية لا أعتقد أن بين السالكين مسلكه والآخذين إخذه من أخلص لأمته إخلاصه، أو وقف في المواقف المشهودة موقفه، أو لاقى في ذلك السبيل من صدمات الدهر وضربات الأيام ما لاقاه، سمعتهم يسمونه خائنا فوالله لأن تقع السماء على الأرض أحب إلي من أن يتهم البريء أو يجازي المحسن سوءا على إحسانه، سمعت ما لم أملك نفسي معه فقلت: يا قوم أتطالعون من كتاب الحرية مائة صفحة ونيفا٢ ثم لا تـزالون عبيد الأوهام، أسرى الخيالات سراعا إلى كل داع، سعاة مع كل ساع، تنظرون بغير روية وتحكمون بغير علم، إنكم

---

١ أطواء الثوب طرائقه ومكاسر طيه.

٢ يريد أن تاريخ الحرية في مصر قرن ونيف.." (٢)

"حكم القوة:

اكتبوا يا أنصار سعد عرائض الثقة به عشرات ومئات وألوفا وعشرات الألوف، فإن ذلك لا يجديكم نفعا ولا يغني عنكم شيئا؛ لأن القوة أصدرت حكمها بأنكم من أنصار الحكومة وأوليائها. ألفوا الوفود العظيمة

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١٣١٥/٨

(٢) النظرات المنفلوطي ١٣٦/١

من جميع مدنكم وقراكم وعزبكم وكفوركم حتى يبلغ مجموع عددها ثلاثة عشر مليونا وتسعمائة وتسعة وتسعين ألفا، فأنتم جميعا حمقى لا قيمة لكم، ولا عبرة برأيكم، ولا يوجد فيكم عاقل ولا رشيد غير تلك الألف الواحدة التي تخلفت عنكم، وانفصلت عن صفوفكم.

املئوا الأرض صراخا وعويلا بالشكوى من الافتيات عليكم في أمركم الخاص بكم وبمستقبل حياتكم وحياة أولادكم وأحفادكم، فإن رجلا **فضوليا** من رجالكم لا شأن له ولا قيمة هو الذي عبث بعقولكم وأغراكم بهذا السخط والغضب والصراخ والعويل، ولو أنه ترككم وشأنكم لاستحال بكاؤكم ضحكا وابتهاجا، وخوفكم وقلقكم سكونا وارتياحا، ولأسلمتم بلدكم إلى أعدائكم راضيين مغتبطين.." (١)

"طرف الخنجر الدملة. فخرج ما فيها من الخلط ثم عافاه الله تعالى وصح وبرئ كأحسن ما كان (للطرطوشي)

المعتصم والطبيب سلمويه

٢٧٤ حكى حنين قال: إن سلمويه النصراني كان عالما بصناعة الطب فاضلا في وقته. ولما مرض عاده المعتصم وبكى عنده وقال له: أشر على بعدك بما يصلحني. فقال: عليك بهذا **الفضولي** يوحنا ابن ماسويه وإذا وصف شيئا فخذه. ولما مات سلمويه قال المعتصم: سألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي. وامتنع عن الأكل في ذلك اليوم وأمر بإحضار جنازته إلى الدار. وأن يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى ففعل ذلك وهو يراهم (لأبي الفرج)

البخيل والدينار

٢٧٥ كان بعض البخلاء إذا وقع الدرهم في يده يخاطبه ويقول له: أنت عقلي وديني. وصلاتي وصيامي. وجامع شملي وقرة عيني. وأنسي وقوتي. وعدتي وعمادي. ثم يقول له:

أهلا وسهلا بك من زائر ... كنت إلى وجهك مشتاقا

ثم يقول: يا نور عيني وحبيب قلبي. قد صرت إلى من يصونك. ويعرف قدرك. ويعظم حقك. ويرعى

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣/٢٠١

قيمتك. ويشفق عليك. وكيف لا تكون كذلك وأنت تعظم الأقدار. وتعمر الديار. وتسمو على الأشراف. وترفع الذكر. وتعلي القدر. وتؤنس من." (١)

"وما تنشق نشر الشكر ذو الكرم ... إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا

والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا

والسمح في الناس محبوب خلائقه ... والجامد الكف ما ينفك ممقوتا

وللشحيح على أمواله علل ... يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا

فجد بما جمعت كفاك من نشب ... حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا

فقال له الوالي: تالله لقد أحسنت. فأي ولد الرجل أنت. فنظر إليه عن عرض. وأنشد وهو مغضض:

لا تسأل المرء من أبوه ورز ... خلاله ثم صله أو فاصرم

فما يشين السلاف حين حلا ... مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال: فقربه الوالي لبيانه الفاتن. حتى أحله مقعد الخاتن. ثم فرض له من سيوب نيله. ما آذن بطول ذيله وقصر ليله. فنهض عنه يردن ملآن. وقلب جذلان. وتبعته حاذيا حذوه. وقافيا خطوه. حتى إذا خرج من بابه. وفصل عن غابه. قلت له: هنئت بما أوتيت. ومليت بما أوليت. فأسفر وجهه وتلالا. ووالى شكرا لله تعارى. ثم خطر اختيالا. وأنشد ارتجالا:

من يكن نال بالحماقة حظا ... أو سما قدره لطيب الأصول

فبفضلي انتفعت لا بفضولي ... وبقولي ارتفعت لا بقيولي

ثم قال: تعسا لمن جدب الأدب. وطوبى لمن جد فيه ودأب. ثم ودعني وذهب. وأودعني اللهب.." (٢)

"التاسع عشر (ص٧٩ - ٨١) ذكرناه مع رصيفيه الشيخين يوسف الأسير وإبراهيم الأحدب وقد جعلنا هناك وفاته سنة ١٩٠٩ والصواب ١٩١٠.

وممن عظم علم الأدباء نعيه سنة ١٩١١ (السيد حسين وصفي رضا) شقيق السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المولود في أوائل سنة ١٨٨٢ مات في تمام شبابه وكان درس على علماء وطنه مشاهير الأزهر العلوم الدينية والأدبية وبرع في الكتابة فشارك أخاه في تحرير المنار وفي إصلاح أمور الإسلام.

وفي ٢٥ تموز سنة ١٩١٣ فجعت فلسطين بأحد رجالها المعدودين (روحي بك الخالدي) سليل أسرة

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١١٥/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٤١/٦

قديمة في القدس الشريف كان مولده سنة ١٨٦٤ وتلقى مبادئ العلوم في وطنه ثم في نابلس وطرابلس وفي المدرسة السلطانية في بيروت ثم انكب على الدروس الفلسفية والحقوقية والسياسية في الآستانة وفي باريس حيث اجتمع بعلماء الفرنج فعرفوا قدره. وانتدبه الفرنسيون إلى التعليم في مدرسة اللغات الأجنبية في باريس وكان أحد أعضاء مؤتمر المستشرقين فيها سنة ١٨٩٧. ثم اختارته الدولة التركية كقنصلها في مدينة بوردو عدة سنين فأطلع على أحوال الفرنسويين وآدابهم. وألف وقتئذ كتابه علم الأدب عند الفرنج والعرب. ولما حد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ انتخبه مواطنوه كمبعوث القدس الشريف وقلد بين رصفائه وظيفة الرئيس الثاني لمجلس النواب وبعد انحلال المجلس عاد إلى القدس ثم كر راجعا إلى الآستانة وفيها توفي بالحمى التيفوئيدية وهو في الخمسين من عمره. وكان روحي الخالدي كاتبا بارعا له عدة مقالات ولمحاضرات ورسائل متفرقة نشرها في صحف مختلفة. ومن آثاره تاريخ الانقلاب العثماني وكتاب العالم الإسلامي. وله أيضا رحلة إلى الأندلس ذكر فيها بقايا آثار العرب لم تطبع.

وفي السنة التالية ١٩١٤ فقد المسلمون رجلين من نخبة علمائهم (السيد جمال الدين القاسمي) ثم (محي الدين الخياط) عرف الأول بتآليفه الدينية التي جعلته في مقدمة علماء دمشق المعدودين. وقد امتاز عن كثيرين منهم باستقلاله عن النوافل **والفضوليات** وخلوه من تضليل المحرفين والمهرفين. ولم يكتف بالوقوف على أسرار الشريعة بل درس أيضا العلوم العصرية وبها ظهر فضل طريقته العلمية. ومما قاله جرجي." (١)

"في موكب غير ذي صوت، أضفى عليه جلاله الموت؛ أنت فيه جد في لعب، وصدق في كذب؛ لك فيه علو المتبوع في التبع، واللواء في الخميس والخطيب في الجمع، بيد أن ذلك لا يمنعك من الأرض، ولا ينفعك يوم العرض، لست والله صاحب الآخرة، وإن كنت صاحب الجنازة الفاخرة حتى تشيع بيتيم بعدك مضيع، أو بائس من ورائك يائس، أو وطن يبكيك عقلاؤه، ويضج عليك فضلاؤه، ويمشى بنورك أبناؤه، ويضيء حفرتك ثناؤه، انظر-رحمك الله- هل ترى غير باك كضاحك المزن، ليس وراء دمعه حزن؟ أو وارث مشغول بما ملك، أو **فضولي** يسأل كم ترك؟ زخرف جنازة، وينفض دون المفازة، وضجة الخروج إلى الدنيا وزورها، وآخر عهدك بباطل الحياة." (٢)

"محمد بن الفقيه (٧٧٠ - ٨٤٢ هـ) (١٣٦٩ - ١٤٣٩ م) محمد بن سليمان بن احمد بن ابراهيم ابن عبد الملك القاهري الاصل، الدمياطي

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٣٥٦/١

(٢) أسواق الذهب أحمد شوقي ص/٤٤

الشافعي، ويعرف بابن الفقيه سليمان.

شاعر، ولد بدمياط سنة ٧٧٠ هـ تقريبا وتوفي بها سنة ٨٤٢ هـ أو ٨٤٣ هـ.

من آثاره: نظم المولد النبوي.

(ط) السخاوي: الضوء اللامع ٧: ٢٥٧ محمد البشاري (كان حيا ١٢٩٠ هـ) (١٨٧٣ م) محمد سليمان البشاري.

فاضل.

من آثاره: تحفة الالباب وهدية الطلاب فيما يجب عليهم من الآداب.

تم تأليفها سنة ١٢٩٠ هـ.

(ط) المكتبة البلدية: فهرس الاخلاق ٩، سركيس: معجم المطبوعات ٥٦٥ محمد البغدادي (٠٠٠ – ١٢٣٤ هـ) (٠٠٠ – ١٨١٩ م) محمد بن سليمان البغدادي، الحنفي، النقشبندي.

صوفي، من أهل الطرق.

من آثاره: الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية والبهجة الخالدية.

(خ) فهرس مخطوطات الظاهرية (ط) البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣٦٠، اسعد طلس: الكشاف ٦١، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٣٩٩ محمد فضولي (٠٠٠ – ٩٦٣ هـ) (١) (٠٠٠ – ١٥٥٦ م) محمد بن سليمان البغدادي، الملقب بفضولي.

اديب، كاتب، شاعر، صوفي، متكلم، عارف باللغات الفارسية والتركية والعربية.

ولد بالحلة، وقطن بغداد، واعتكف في كربلاء، وتوفي بالطاعون، ودفن بها في مقبرة الدده عند تكية البكتاشية.

من آثاره: ديوان شعر، ومطلع الاعتقاد في الكلام.

(ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ١٧١٩، العاملي: أعيان الشيعة ٤٦: ٢١٧ – ٢٢٤، حسين علي محفوظ: فضولي البغدادي، البغدادي: هدية العارفين ٢: ٢٥٠ محمد البكري (كان حيا ١٠٦٢ هـ) (١٦٥٢ م) محمد بن سليمان البكري، الشافعي (بدر الدين) فاضل.

من آثاره: الاعتناء في الفرق والاستثناء فرغ منه سنة ١٠٦٢ هـ.

(ط) البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٩٨

(١) وفي هدية العارفين ٩١٠ – ٩٧٥ هـ." (١)

"(خ) آغا بزرك: أعلام الشيعة عن حسين علي محفوظ الفضل الكاتب (كان حيا ٦٩٩ هـ) (١٣٠٠ م) الفضل بن يحيى بن علي بن المظفر الطيبي، الكوفي، الكاتب (مجد الدين) من الكتاب.

كتب بواسط.

له رسالة الجزيرة الخضراء.

(خ) آغا بزرك: أعلام الشيعة عن حسين علي محفوظ فضل الله بن علي الراوندي

(٨: ٧٥) يزاد في مصادره: (خ) آغا بزرك: أعلام الشيعة عن حسين علي محفوظ فضلي بن فضولي (كان حيا ١٠١٤ هـ) (١٦٠٥ م) فضلي بن فضولي.

اديب، شاعر، من أهل العراق.

قرض الشعر بالتركية والفارسية والعربية.

من آثاره: ديوان شعر.

(ط) حسين علي محفوظ: فضولي البغدادي." (٢)

"يحتاج أدب الأطفال إلى علاج لمشكلات القراءة والترجمة واللغة، لأن هذه المشكلات تفعل فعلها في الطفل العربي، فتقلل من فرص إتقانه مهارة القراءة، أو تجعله، في حال صلاحية الكتاب وتوافره بين يديه، يقرأ نصوصا تغرس فيه قيما مغايرة لقيم الأمة العربية الإسلامية، إضافة إلى تأثر لغته الفصيحة بالإعلام، وسيادة العامية في الخطاب الموجه إليه. وعلى الرغم من أن القراءة تبدو أول وهلة بعيدة عن الإعلام واللغة والترجمة والاختراق الثقافي، فإن إنعام النظر يقود إلى أن الخلل فيها مرتبط بالقيم التي يبثها الأدب المترجم، وبالمستوى اللغوي الذي يصل إليه الطفل العربي نتيجة اتصاله بالإعلام. ولسوف أسعى، هنا، إلى توضيح حدود المشكلات الثلاث وآثاره في الطفل العربي، وأساليب العلاج الملائمة لها.

أولا: مشكلة القراءة:

لا يشك أحد في أن للطفل حاجات قرائية لابد من تلبيتها لتكتمل شخصيته ويتمكن من التكيف مع مجتمعه والإسهام في بنائه. وتتنوع هذه الحاجات وتختلف تبعا لتنوع المجتمعات واختلافها. ويمكن

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٤٨/١٠

(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٤١١/١٣

الاطمئنان إلى أن مشكلات القراءة لدى الأطفال العرب تنبع من المجتمع ولا علاقة للأطفال بها، لأن طفلنا العربي كأي طفل في العالم قارئ جاد **فضولي** يحب الموضوعات كلها ويرغب في الاطلاع عليها، إلا أن واقعنا لا يوفر الفرص الكافية للأطفال ليكتسبوا عادة المطالعة ويتصلوا بالكتاب. ومن ثم برز لدينا ما تصح تسميته بمشكلة القراءة.." (١)

---

(١) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية ص/٩٢